الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي



جامعة تلمسان

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في أدب المغرب الإسلامي والحضارة المتوسطيّة

الشّعر الجزائريّ القديم وأثره على الجوانب الحضاريّة في المغرب الإسلاميّ من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ

- مقاربة تاريخيّة/ وصفيّة/تحليليّة -

إعداد الطّالب: عبد الحق متهوت

إشراف الأستاذ الدّكتور: محمد مرتاض

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ.د. محمد زمري	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
- أ.د. محمد مرتاض	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقرّراً
- د. بدرية سفير	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة تلمسان	عضواً
- د. مراد قايد سليمان	أستاذ محاضر (أ)	المدرسة متعددة التقنيات وهران	عضواً
- د. نوريّة بن عدّي	أستاذة محاضرة (أ)	المركز الجامعيّ مغنية	عضواً
- د. عزوزي عبد الصمد	أستاذ محاضر (أ)	المركز الجامعيّ مغنية	عضواً

السّنة الجامعيّة: 1440هـ-1441هـ /2018م-2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديّ الكريمين

وإلى كلّ أساتذتي الذين أشرفوا على تكويني من الطّور الابتدائي إلى طور الدّكتوراه.

أهدي هذا العمل

عبد الحق

شكر وتقدير

بعد حمد الله والثّناء عليه أن وفّقني لإنجاز هذا البحث.

أتقدّم بجزيل الشّكر إلى الأستاذ الدّكتور"محمد مرتاض" الذي أنار دربي بتوجيهاته السّديدة ونصائحه الثّمينة التي أثمرت هذا العمل فجزاه الله عنّي كلّ خير، والشّكر موصول إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين شرّفوني بقراءتهم لهذه الرّسالة وتصويبها.


مقدّمة

لقد كان للفتوح الإسلاميّة التي أنارت مشارق الأرض ومغاربها الأثر الكبير على منطقة شمال إفريقيا بعامّة وعلى الجزائر بخاصّة، إذ امتزجت عناصر هذا الأثر ثقافيّا بفعل التّلاقح الذي حصل بين المُسلمين من وِجهة، والأمازيغ من وِجهة أخرى في كنف لسان عربيّ مُبِين، أثمر شعراً وحضارةً عَنَيْتُهما بالدّراسة ضمن الموضوع الموسوم: « **الشّعر الجزائريّ القديم وأثره على الجوانب الحضاريّة في المغرب الإسلاميّ من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ– مقاربة تاريخيّة/ وصفيّة/تحليليّة** ».

وتكمُنُ أهمّية هذه الدّراسة في استجلاء إرثٍ أدبيٍّ وحضاريٍّ عريق، لَم يرتشف منه الباحثون إلاّ النّزر القليل من خلال دراسة النّصوص الشّعريّة الجزائريّة القديمة وإثراء ثقافتنا.

ويتجلّى الهدف من هذه الدّراسة في إضافة لَبِنة علميّة جديدة إلى صرح الثّقافة الجزائريّة بخاصّة والثّقافة العربيّة والإسلاميّة بعامّة.

وإذا كان لكلّ دراسة أسباب ودواعٍ؛ فإنّ هذا البحث بدوره كان وراء اختياره ما يُبرّر الاشتغال به من أسباب ذاتيّة وموضوعيّة؛ منها:

- رغبتي في خدمة تراثنا الجزائريّ القديم.
- إنارة السّبيل للباحثين الذين يأتون بعدي.
- الإسهام في ترقية الدّراسات الأدبيّة والحضاريّة.

الإشكاليّة:

لقد تمحورت إشكالية هذا الموضوع حول دراسة علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الأدب والحضارة وانعكاسها على المغرب الإسلاميّ، حيث تُثار عدّة أسئلة في هذا المقام؛ منها:

- كيف تأثّر الشّعر الجزائريّ القديم بالحضارة في المغرب الإسلاميّ من حيث مضامينه؟
- كيف أثّرت جهود الشّعراء الجزائريّين في ثقافة المغرب الإسلاميّ؟
- كيف يتجلّى هذا التّفاعل في حضارة المغرب الإسلاميّ؟

ومن أجل الإجابة على هذه التّساؤلات قسّمت هذا الموضوع إلى مقدّمة، ومدخل وثلاثة فصول، ثمّ خاتمة.

فكان المدخل بعنوان: مفهوم الحضارة وعلاقتها بالأدب، حيث تناولت فيه المفاهيم اللّغوية والاصطلاحية للفظتي الأدب والحضارة بهدف التمهيد لِضبْط علاقة التّفاعل بينهما.

وقد وقفت في الفصل الأوّل عند مضامين الشّعر الجزائري القديم من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ والتي تنوّعت ما بين المديح النّبوي، والزّهد، والتصوّف، والمدح، والوصف، والرّثاء، والحنين والاشتياق، والغزل والنّسيب، والشّكوى، والفخر، والموشّحات، إذ استشهدت في كلّ غرض منها بمختارات شعريّة جزائريّة قديمة مُفعمة بعواطف شعراء تلك الحقبة من تاريخ الجزائر الثّقافي.

وخصّصت الفصل الثّاني لجهود الشّعراء الجزائريّين في فترة الدّراسة نفسها، فقد اخترت ثلّة من أعلام الشّعر الجزائريّ القديم ووثّقت تراجمهم وبعض مقطوعاتهم الشّعريّة في أغراضٍ مختلفةٍ كلٌّ بحسب إبداعه.

وتطرّقت في الفصل الثّالث لتأثُّر الشّعر الجزائريّ القديم بالحضارة في المغرب الإسلاميّ وتأثيره في ثقافتها، وقد انتقَيْت فيه أشعاراً كان لها علاقة

بالأعياد والمناسبات الدّينيّة ولا سيّما (شعر المولديّات)، و تناولت مدح المدن ووصف نمط الحياة السّائدة فيها، مع وصف المعارك ومراسيم التّحضير لها.

ثمّ ذيّلت البحث بخاتمة كانت عبارة عن خلاصة لأهمّ النّتائج المتوصّل إليها.

وكان اعتمادي في هذا البحث على مقاربة تكامليّة بين المنهج التّاريخي وآليات الوصف والتّحليل والاستنتاج في محاولة لاستجلاء عمليّة التّفاعل بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ واستنباطها من النّصوص الشِّعريّة.

وقد أفدت في هذا البحث مِن الدراسات السّابقة التي كان لها الفضل الكبير في إماطة اللّثام عن الشِّعر الجزائريّ القديم، وأهمّها:

- بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ليحي بن خلدون.
- الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب العربيّ (الجزء الأوّل والثّاني)، لمحمّد مرتاض.
- من أعلام تلمسان (مقاربة تاريخيّة فنيّة)، لمحمّد مرتاض.

- الشّعر الجزائريّ القديم من القرن الثّالث الهجريّ إلى العصر الحديث، لمحمّد مرتاض.
- أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، لعبد الحميد حاجيّات.
- أدباء وشعراء من تلمسان، لبوزياني الدراجي.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، لعادل نويهض.

ومن الصّعوبات التي تجشّمت عناءها – من دون أن تُثبّط عزيمتي – هي قلّة المادّة العلميّة التي عادةً ما تكون مُمهّدة للطّريق، مُنيرة للدّرب وبخاصة في الحقل المعرفيّ الذي يجمع بين ثنائية الأدب والحضارة.

وفي الختام أنوّه بجهود السيّد المشرف وأستاذي الفاضل الأستاذ الدّكتور محمد مرتاض في توجيهاته التي أضاءت هذا العمل مُسدياً إليه جزيل الشّكر والعرفان، كما أتقدّم بالشّكر الخالص للسّادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تجشّمهم عناء تصويب هذا البحث.

تلمسان في: 20 رمضان 1439هـ/ 03 جوان 2018م

عبد الحق هتهوت

مدخل: مفهوم الحضارة وعلاقتها بالأدب

1. مفهوم الأدب لغة واصطلاحا
2. مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا
3. ضبط العلاقة بين الحضارة والأدب

مدخل: مفهوم الحضارة وعلاقتها بالأدب.

إنّ تحديد العلاقة بين الحضارة والأدب سَيُساعد على فَهْم عمليّة التأثّر والتّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ؛ وتحديد هذه العلاقة يتطلّب ضبط هذين المفهومين – الحضارة والأدب – من حيث اللّغة والاصطلاح على النّحو الآتي:

1. **مفهوم الأدب:**

أ– لغة:

هو:« الأدَبُ الذي يتأدّبُ به الأديب من النّاس؛ سُمّي أدبا لأنّه يَأْدِبُ النّاس إلى المَحامِد، وينهاهم عن المقابِح .»[1] وهو أيضاً: أدبُ النّفسِ والدَّرسِ. والظَّرفُ وحُسنُ التّناول.[2] ويُستشفُّ من هذا التّعريف اللّغوي لِلفْظة – أدب – أنّها صفة تُطلق على حُسن الأخلاق ورقّتها.

[1] لسان العرب، ابن منظور، ط3، دار المعارف، ج1، القاهرة، ص43.

[2] المعجم نفسه، مادّة: أدب .

ب- اصطلاحا:

لقد مرّ الأدب بتعاريف عديدة عبر العصور المتلاحقة ومن هذه التّعاريف ما ذكره ابن خلدون حين قال : « الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كلّ علم بطرف.» [1] إذ يدُلّ هذا القول على اِتّساع مفهوم الأدب الذي يشمل – حسَبه – كلّ الموروث الثّقافيّ والعلميّ الذي خلّفه أدباء العرب وعلماؤهم.

وفي هذا الصّدد – أيضا – يقول سمير سعيد حجازي: « هو فنّ من فنون الإبداع، يعتمد على اللّغة الأدبيّة، في صياغة إحدى التّجارب البشريّة أو التّاريخيّة داخل إطار فنّيّ معيّن يرتبط بمعايير معيّنة، على صلة مباشرة بالنّظرية الأدبيّة في العصر الذي يتمّ فيه عمليّة الإبداع.»[2] فالأدب بحسب هذا المنظور، هو عمل يُبدعه الأديب لنسج أحداثٍ قد تكون واقعيّة ممزوجة بالخيال أو خياليّة صِرْفة – وهذا ما يُميّز الأديب من المُؤرّخ – إذْ يُحاكي إحدى التّجارب البشريّة بلغة أدبيّة موافقة لمعايير عصر الأديب ونظريّاته الأدبيّة السّائدة فيه.

---

[1] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط07، دار نهضة مصر للنشر، الجيزة، مصر، مارس2014، ج3، ص1139.

[2] قاموس مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر، سمير سعيد حجازي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص78.

2. مفهوم الحضارة:

أ– لغة:

مادّة *حضر*« والحَضَرُ: خِلافُ البَدْوِ. والحاضِرُ: خِلافُ البادي.

والحِضارَةُ: الإقامة في الحَضَرِ (عن أبي يزيدٍ). وكان الأصْمَعِيُّ يقول الحَضَارَةُ. بالفَتْحِ، قال القُطامِيُّ:

فَمَـنْ تَكُـنِ الحَضـارَةُ أَعْجَبَتْـهُ ** فَـأَيُّ رِجـالِ بادِيَـةٍ تَرَانَـا[1]

وما يُلاحظ هنا هو أنّ لفظة (حِضارة) سواء أكان بكسر الحاء أم بفتحها؛ لها مدلولا لغويّا واحداً ألا وهو الإقامة في الحَضَرِ الذي هو عكْس البادية.

وفي هذا الشّأن أيضا، يقول ابن منظور تارة أخرى: « والحَضَرُ والحَضْرَةُ والحَاضِرَةُ: خِلافُ البَادِيةِ، وهي المُدُنُ والقُرى والرّيفُ، سُمِّيت بذلك لأنّ أهْلَهَا حَضَرُوا الأمصَارَ ومسَاكِنَ الدِّيارِ التي يكونُ لَهُم بِها قَرارٌ، والبَادِيةُ يُمكِنُ أنْ يكون اِشتقاق اِسمها مِن بَدَا يَبدُو أيْ برزَ وظَهَرَ ولكنّه اِسمٌ لَزِمَ ذلك الموضِعِ خاصّة دون ما سِواهُ، وأهلُ الحَضَرِ وأهلُ البَدْوِ.»[2] ويُفهم مِن هذه الإضافة أنّ الإقامة

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج2، ص906، وص907.

[2] المعجم نفسه، مادّة: حضر.

في الحضر يُقصد بها السَّكَن في المُدن والقُرى والرّيف الآهلة ديارها بالنّاس الذين يُطلق عليهم أَهْلُ الحضَرِ بمعنى أهلُ المَدِينَة.

ب- اصطلاحا:

لقد حدّد عبد الرّحمن بن خلدون مفهوم الحضارة في قوله: « إنّ الحضارة كما علِمْتُ هي التفنّن في التّرف واِستجادة أحواله، والكَلَف بالصّنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيِّئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل.»[1] ويبدو أنّ ابن خلدون – في قوله هذا – قد ربط بين الحضارة والتّرف الذي يتجسّد في تنوّع الصّنائع والتي مِن صُوَرِها المباني الدّالّة على التّمدُّن، والحال نفسه مع سائر وسائل الحياة الحضريّة التي تمثّل الشّقّ المادّيّ من الحضارة؛ إذْ يتّضح من هذا كلّه أنّ ابن خلدون قد تناول مفهوم الحضارة من حيث ثمراتها التي تُيَسِّر للنّاس حياتهم.

وفي السّياق ذاته، يقول مالك بن نبي: « إنّ الحضارة يجب أن تُحدَّد مِن وجهة نظر وظيفيّة: فهي مجموعة الشّروط الأخلاقيّة والمادّية التي تُتيح لمجتمع معيّن أن يُقدّم لكلّ فرد من أفراده، في كلّ طَوْر مِن أطوار وجوده،

[1] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ج2، ص 818.

منذ الطّفولة إلى الشّيخوخة، المساعدة الضّرورية له في هذا الطّور أو ذلك مِن أطوار نموّه.»[1] ومن الواضح أنّ مالك بن نبي قد فسّر الحضارة مِن منظورها العَمَلِيّ الذي يتطلّب شروطا أخلاقيّة – وهي الجانب المعنوِيّ مِن الحضارة – بحيث تُلزم هذه الشّروط المُجتمع بتقديم المساعدة المادّية لكلّ فرد من أفراده في كلّ مراحل حياته ليتحقّق بذلك جوهر الحضارة.

ويبدو أنّ رأْيَ (ألبرت أشڤيتسر)(Albert Schweitzer) يُؤكّد نظرة مالك بن نبي حول الحضارة ويُلمَس ذلك في قوله: « إنّ الطّابع الجوهريّ للحضارة لا يتحدّد بإنجازاتها المادّية، بل باحتفاظ الأفراد بالمُثل العليا لكمال الإنسان، وتحسين الأحوال الاجتماعيّة والسّياسية للشّعوب، والإنسانيّة في مجموعها.»[2] ويُشير هذا القول إلى إجماع مالك و(ألبرت)على أنّ الحضارة بشقّيْها المعنويّ والمّادّي إنّما الغاية منها هي بناء الإنسان أخلاقيّا وتحسين أحواله مادّيّا، وهذا يدلّ على ضرورة تناغُم القِيم الرّوحية مع الإنجازات المادّية من أجل بناء الحضارة.

---

[1] القضايا الكبرى، مالك بن نبي، ط1، دار الفكر، دمشق،1991، ص43./ يُنظر: مشكلة الثّقافة، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصّبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 1984م، ص 74.

[2] فلسفة الحضارة، ألبرت أشڤيتسر(Albert Schweitzer)، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مطبعة مصر، القاهرة، مارس سنة 1963، ص107 وص 108./ يُنظر: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، آمنة تشيكو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م، ص21.

وهناك مِن الآراء ما يَجعلُ مفهوم الحضارة هو نفسه مفهوم الثّقافة على غرار (إدوارد بيرنات تايلور)(Edward Burnett Tylor) الذي قال: « إنّ " ثقافة* " أو" حضارة "، موضوعة في معناها الإثنولوجي الأكثر اِتّساعا، هي هذا الكلّ المُركّب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنّ والأخلاق والقانون والعادات وكلّ القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع.»[1] ويكون (تايلور) بوضعه لهذا المفهوم الموحَّد – للحضارة والثّقافة – قد حَصَرَ الحضارة في شقّها المعنويّ المتمثّل في الأخلاق والفنّ وغيرهما. والأمر الذي يجب التوقّف عنده في قول (تايلور) هو أنّ الأدب يشترك

---

* ثَقِفَ الشّيءَ بمعنى أَخذَه، للتّفصيل أكثر يُنظر القاموس المحيط، مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1979م،مادة ثقف، ج03، ص117.

[1] مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، مارس 2007، ص31. نقلا عن:

* Edward Burnett Tylor,Primitive Culture: Researches In to the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Art, and Custom, 2vols.(London:J.Murray, 1871) ,p.1.

ويُنظر أيضا:الثّقافات والحضارات اختلاف النّشأة والمفهوم، محمد الجوهري حمد الجوهري، الدّار المصرية اللّبنانية، القاهرة، ط1، 2009م، ص98./ هذي هي الثّقافة، أحمد بن نعمان، شركة دار الأمّة للنّشر، الجزائر، ط1، 1995م، ص20.

مع الحضارة – بحسب هذا التّعريف – في كوْنِه فنّاً من فنون الإبداع ممّا لا يدَع مجالا للشكّ في أنّ الأدب هو أحد المُركّبات التي تشملها الحضارة أو الثّقافة كما حدّدها (تايلور) في قوله الآنف.

وتُعدّ الحضارة – أيضا – مفهوما مُرادفا لمفهوم المدنيّة بحسب(ألبرت أشفيتسر) الذي يقول: « إنّنا نستطيع التّفرقة بين حضارة (Kultur) أخلاقية وحضارة لا أخلاقية، أو بين مدنيّة (Civilisation) أخلاقيّة ومدنيّة لا أخلاقيّة، لكنّنا لا نستطيع التّفرقة بين الحضارة (Kultur) وبين المدنيّة (Civilisation).»[1] ويبدو أنّ (ألبرت) قد ركّز على العامل الأخلاقيّ في التّمييز بين حضارة وأخرى لكنّه في الوقت نفسه لا يَقبلُ التّفريق بين الحضارة والمدنيّة.

ويُؤكّد (ويليام جيمس ديورانت) (William James Durant) هذا التوجّه الأخلاقيّ في تحديد مفهوم الحضارة والمدنيّة – باعتبارهما وجهين لِعملة واحدة – في قوله: « إنّ المدنيّة في وجه من وجوهها هي رقّة المعاملة، ورقة المعاملة هي ذلك الضرب من السّلوك المهذّب الذي هو في رأي أهل المدن

---

[1] فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر(Albert Schweitzer)، ص 37.

– وهم الذين صاغو حكمة المدنيّة – مِن خصائص المدينة وحدها.»[1]

وهذا التّعريف للمفكّر (وِل) يعني أنّ المدنيّة مرتبطة برقّة المعاملة والسّلوك المهذّب وهي نفسها من سِمات الحضارة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحضارة سواءٌ أَكانت مرادفة للثّقافة كما يراها (إدوارد تايلور) أم مرادفة للمدنيّة وفقا لنظرة (ألبرت أشڤيتسر) ومعه(وِل ديورَانت)، فإنّها تُعدُّ في جوْهرِها مُنسجمة في شقّها المعنويّ مع مفهوم الأدب مِن حيث القيمة الأخلاقيّة ورقّة المُعاملة والسُّلوك الحَسن.

وإذا كان الأدب والحضارة ينسجمان من حيث المفهوم، فإنّه يُمكن – حينئذٍ – الحديث عن ثنائيّة الأدب والحضارة، ومِن بين الآراء التي أُثيرت حول هذه الثّنائيّة رأْيُ حَسَن الأمراني الذي قال: « نحن مدعوّون إلى تصحيح مسيرة الأدب، والانتقال من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة، من أجل أنْ نجعل الأدب مُسْهِمًا حقيقيًّا في البناء الحضاريّ الذي لا يستكمل شروطه الإنسانيّة إلا بالعناية بالرّوح، ومن أعظم تجلّيات تلك العناية الرّوحية العناية

[1] قصّة الحضارة، وِل ديورَانت، ترجمة زكي نجيب محمود، ج1 من المجلد 1، دارالجيل، بيروت– لبنان، ط1، 1992،ص05.

بالأدب والفّن. »[1] وأبرزُ ما يستقطِبُ الانتباه في هذا الرّأي هو الإشارة إلى أنّ ثُنائيّة الأدب والحضارة تنقسم إلى نوعين: النّوع الأوّل هو حضارة الأدب، والنّوع الآخر هو أدب الحضارة.

ويبدو أنّ حَسَن الأمراني يدعو إلى أدب الحضارة الذي – بحسبه – يُعدّ مُسْهِمًا فاعلا في بناء الحضارة مُبرّرا موقفه بحاجة هذا البناء إلى العناية بالأدب والفن حتّى يستكمل شروطه الإنسانيّة.

لكنّ السّؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما الفرق بين حضارة الأدب وأدب الحضارة ؟.

إنّ الإجابة على هذا السّؤال تستوجب ضبط مفهوم الأدب الحضاريّ الذي قال عنه مُحمّد الحسناوي: « إنّ التّعريف الأوّليّ للأدب الحضاريّ: هو ذلك الأدب الذي مهّد لظهور الحضارات الإنسانيّة، أو رافقها منذ نشأتها، وساعد على اِكتمالها واِزدهارها.»[2] وهذا النّوع من الأدب بمُقتضى هذا المفهوم

---

[1] من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة، حسن الأمراني، مجلة حراء، العدد 45، نوفمبر– ديسمبر 2014، الموقع الإلكتروني: *www.hiramagazine.com*

[2] في الأدب والحضارة، محمّد الحسناوي، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمّار عمّان، 1975، ص37.

مُلازمٌ للحضارة في مُختلف أطوارها؛ فهو مُمَهِّدٌ لها في طور نشأتها، ومُرافق لها في طور استقرارها، ومُساعد على ازدهارها في طور ذِروَتها، والحال نفسه ينطَبِق على سائر الحضارات الإنسانيّة، ممّا يجعل الأدب الحضاريّ يُشبه الكِتاب الذي يحمِل بين دفّتيْهِ قِيَم الحضارة وفِكر بنائها.

ولعلّ الشِّعر العربيّ في العصر الجاهليّ يُعدّ أنسب مثال على تمهيد الأدب لظهور الحضارة، إذ يقول عبد القادر القط في هذا السّياق:« كان هؤلاء الشّعراء الكبار بتجوالهم في أرجاء الجزيرة العربيّة وارتباطهم بتجمّعاتها الكبيرة قد أسهموا بنصيب كبير في خلق شعور قوميّ (...) بين قبائل العرب الكبرى، وفي تأصيل كثير من القِيَم الأخلاقيّة والاجتماعيّة اللاّزمة لنشأة أيّ شعب متماسك متحضّر، وفي التّمكين للغة عربيّة عامّة تعلو على سائر اللّهجات وتصبح قادرة على التّعبير عن مقوّمات ذلك الشّعب وحضارته التي كانت توشك أنْ تنبثق من ظهر الغيب.»[1] والذي يتأمّل مَتْن هذا القول، سَيستَشِفُّ تأثير الأدب – بعامّة والشّعر منه بخاصّة – في الحضارة مِنْ حيث الآتي:

[1] في الشّعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1987، ص13.

1) نَشْرُ الشّعور القوميّ بين قبائل العرب الكبرى: وهذا يدلُّ على أنّ الخطاب الشّعري كان فعّال في بناء عمليّة التّواصل بين العرب وتقوية روح الانتماء عندهم آنذاك.

2) التّأصيل للقِيَم الأخلاقيّة والاجتماعية التي تُفضي إلى تماسك الشّعب وتحضّره: وهذه الخاصّية تُعدّ جوهراً للأدب بعامّة لأنّه يأدِبُ النّاس إلى المحامِد[1].

3) التّمكين لِلِسَان عربيّ جامِع لكلّ اللّهجات ومُعبّر عن مقوّمات ذلك الشّعب وحضارته التّي كانت تُوشك على الانبثاق: فتوحيد لسان أيّ أمّة يُسهم في توطيد الرّوابط الاجتماعيّة بين أفرادها، الأمر الذي يُمهّد لميلاد حضارتها كما هو الحال بالنّسبة للعرب في هذا المثال.

وعلى الرّغم من هذا كلّه، يبدو أنّ عرب الجاهليّة كانت لهم حضارة أدب وليس أدب حضارة، وهذا ما أشار إليه حسن الأمراني في قوله: « ولِكون حضارة العرب في الجاهليّة حضارة أَدَب، لم يَكُ يعنيها الحقّ بقدر ما كان يعنيها الدّهشة وما يحمله الأدب في نفسه من صفات تدعو إلى الإعجاب، فكان بعض ذلك الأدب حاملاً لقيم الباطل والانحراف والشّر. وارتبط كثير

---

[1]– يُنظر: مفهوم الأدب لغة في الصّفحة الأولى من هذا المدخل.

مِن البيان بالكهانة والسّحر.»[1] ولعلّ الفرق بين أدب الحضارة وحضارة الأدب – بحسب هذا القول – يكمُن في الفرق بين الحقّ والباطل؛ لأنّ عرب الجاهليّة ركّزوا على الدّهشه من الأدب والإعجاب ببلاغته دون النّظر إلى القِيَم التي يدعو إليها سواءٌ أكانت حقّا أم باطلا.

وإذا كان لعرب الجاهليّة حضارة أدب كما قال حسن الأمراني، فكيف قام شعراؤهم بالتّمهيد لقيام الحضارة عندهم كما أشار إليه آنفا عبد القادر القط ؟.

ولعلّ الإجابة – مرّة أخرى – هي عند عبد القادر في قوله:« وكأنّما فَرَغ هؤلاء " الفحول" من تلك الرّسائل الحضاريّة قبيل الإسلام فانقضى جيلهم وظلّ المجتمع العربيّ بضع سنوات ينتظر رسالة من نوع جديد تُحقّق للعرب تلك الوحدة (...) وكان لابدّ أن تمضي سنين أخرى في ظلّ الإسلام حتّى ينشأ جيل جديد تربّى في تلك البيئة الحضارية الجديدة بعد أن تبلورت سماتها واستقرّت قِيَمها وتجاوزت مرحلة الانتقال إلى مرحلة الأصالة.»[2] إذْ يَرى صاحب هذا القول أنّ شعراء* الجاهليّة قد هيّؤوا أمّتهم من حيث وحدة الانتماء واللّسان – كما ذُكر

[1] من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة، حسن الأمراني: www.hiramagazine.com

[2] في الشّعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، ص 13 وص 14.

* لقد أطلق العرب على الشّاعر لقب العالم الكبير، للتفصيل أكثر يُنظر: الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، نايف معروف، دار النفائس، (د ت)، ص89.

سابقا – لاستقبال أيّ رسالة حضاريّة مُقبلة، الأمر الذي تحقّق في ظلّ الإسلام الذي أصّل لقِيَم الجيل الجديد الذي اِنتقل بالعرب مِن حضارة الأدب إلى أدب الحضارة المسبوغ بسمات الدّين الجديد – الإسلام – آنذاك.

ويتّفق حسن الأمراني مع هذا الرّأي في قوله:« ولمّا جاء الإسلام* صحّح هذه العلاقة؛ علاقة الأدب بالحضارة، فاستنكر رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) سَجْع الكُهّان لِما يحمله مِن قِيَم الباطل وما يسقطه مِن أهل البيان مِن الحقّ، ونعى القرآن الكريم على فئة من أهل البيان زُخرف القول، وجعله مرتبطًا بالشّياطين.»[1] والواضح هنا أنّ المبادئ التي تضمّنتها رسالة الإسلام قد حثّت البشريّة بعامّة والعرب بخاصّة على تهذيب العلاقة بين الأدب والحضارة وذلك بالأمر بالمعروف والنّهي على المُنكر الذي جعل العربيّ المُسلم يحتفي بِبَيان الشِّعر الذي يتوافق مع الحقّ، وفي الوقت نفسه يستنكِرُ ما شجّع منه على الباطل.

ويُضيف الأمراني في هذا السّياق – أيضا – قوله: « وقد أسّس الإسلام قولاً وفعلاً أدب الحضارة، فجعل الأدب رساليًّا ونزّهه عن العبث، وتلك خصيصة

---

* كان الإسلام أقوى وارد على اللغة العربيّة فنصّ على منزلة الكلمة وحدّد مسؤولية الأدب، للتفصيل أكثر ينظر: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام: محمد الرابع الحسني الندوي، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1985م، ص17وص18./ تقويم نظرية الحداثة وموقف الاسلام منها: عدنان علي رضا النحوي، ط2، دار النحوي للنّشر والتّوزيع ، الرّياض، 1993م، ص102.

[1] من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة، حسن الأمراني: *www.hiramagazine.com*

من خصائص الإسلام التي تشمل الوجود كلّه، فكيف إذا تعلّق الأمر بالكلمة التي جعلها الإسلام مدار الحياة في الدّنيا وبها تتأكّد المَنزلة في الأخرى، إذ لا مجال للفوز والنّجاة إلاّ بتكريم الكلمة التي أعلاها كلمة التّوحيد.»[1]

ومِن الواضح هنا أنّ أدب الحضارة هو ذلك الأدب الذي يشحَنُه أصحابه بقيَمِهم الأخلاقيّة التي اِستمدّوها من عقيدتهم الدّينيّة*بخاصّة، ومثال ذلك دِين الإسلام** الذي كرّم الكلمة وأعلى من شأنها الأمر الذي نقل العرب من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة.

ويبدو أنّ إعلاء كلمة الحقّ والالتزام بها لا يتعارض مع الاحتفاء ببيان الأدب بعامّة – والشّعر منه بخاصّة – والإعجاب به، إذْ يقول الأمراني تارة أخرى: « ولم تَكُ توجيهات رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) للشّعراء

---

[1] من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة، حسن الأمراني: *www.hiramagazine.com*

* هي عقيدة انبثق منها نظام شامل للحياة، للتفصيل أكثر يُنظر: الملامح العامّة لنظرية الأدب الإسلامي: شلتاغ عبود،ط1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مطبعة الصباح، دمشق، 1992 م،ص21.

** بعدما دخل العرب في الإسلام نظموا أشعاراً زاهدة في حطام الدّنيا ومتاعها الزّائل، للتفصيل أكثر يُنظر: في التراث والشّعر واللغة، شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، (د ط)،ص30./ قصيدة بانت سعاد ومعارضتها، محمد بوذينة، سلسلة من غرر الشعر، منشورات محمد بودينة،الحمامات،(د ط)،(د ت)،ص 07 .

غير تأكيد لهذا التوجّه الرّساليّ للكلمة الجامعة بين الحقّ والجمال، فلم يَعُد الجمال نقيضًا للحقّ، بل مؤازرًا له ومُتمّمًا، فلا جمال أصلاً إلاّ مع الحقّ. وكذلك اِنتهت تلك الثّنائيّة المجحفة النّكدة التي تتساءل: أيُّهما أولى، المتعة أم الفائدة، الحقّ أم الجمال؟.»[1] والمقصود بثنائيّة الحقّ والجمال – بحسب هذا القول – ذلك المزيج الأدبيّ الذي يتداخل فيه رَونق العبارة مع الرّسالة الهادفة* التي يَبُثّها الأديب في عمله سواءٌ أَكان شعراً أم نثراً.

والحديث عن جمال الكلمة الأدبيّة يُمهّد لمحاولة التّعرّف على تَأثُّر الأدب بمحيطه من حيث درجة التحضّر؛ إذ يُناقش عبد العزيز الجرجاني هذه القضيّة في قوله: « يرقّ شعر أحدهم، ويصلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويَتَوَعَّرُ منطقُ غيره؛ وإنّما ذلك بحَسبِ اِختلاف الطّبائع، وتركيب الخَلْق؛ فإنّ سلامةَ اللّفظ تتبعُ سلامة الطّبع، ودَماثة الكلام بقدر دَماثةِ الخِلقة.»[2] إذْ يرَى الجرجاني – في هذا القول – أنّ طبائع النّاس تنعكس على ألفاظهم مثلما تكون جودة

---

[1] من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة، حسن الأمراني: www.hiramagazine.com

* يهدف الأدب والدّين إلى المُثل العليا إلاّ أنّ الأدب حرّ والدّين مُقيّد، للتفصيل أكثر يُنظر: القيم الرّوحية في الشّعر العربيّ قديما وحديثا (حتى منتصف القرن العشرين 1950 م): ثريا عبد الفتاح ملحس،مكتبة المدرسة ودار اللّبناني للطّباعة والنّشر، بيروت، (د.ت)، ص27.

[2] الوساطة بين المتنبّي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 2006، ص 24 وص25.

الكلام بقدر سلامة الخِلقة، والحال نفسه عند الشّعراء فإنْ هُم حَسُنت طبعاهم رَقَّ شِعرهم وإن صعُبت هذه الطّبائع صَلُب الشِّعر معها.

ويُرجع عبد العزيز الجرجاني صَلابة الشِّعر إلى البداوة التي يَنْجُم عنها حِدّة الطّبائع حيث يقول: « وتَرى الجَافِيَ الجِلْف مِنهم كَزّ الألفاظ، مُعقَّد الكلام، وَعْر الخطاب؛ حتّى إنّك رُبّما وجدتَ ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرْسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تُحْدث بعض ذلك.»[1] ويَظهر هنا جليّا تأثُّر اللّفظ بالبداوة التي تجعل الخطاب وَعْرا ومُعقّدا، ولعّل المقصود بكلمة " الخِطاب" هو الأدب ومنه الشِّعر.

والشِّعر يتأثَّر بالحاضرة كما يتأثَّر بالبادية؛ إذْ يقول الجرجاني في هذا السّياق: « ولذلك تجدُ شِعر عَدِيٍّ – وهو جاهليّ – أسلسَ من شِعر الفرزدق ورجَز رُؤْبة وهما آهلان؛ لملازمة عَدِيٍّ الحاضرة وإيطانه الرّيف، وبُعْده عن جلافة البَدْو وجفاء الأعراب.»[2] ويُقدّم الجرجاني نموذجا حيّا عن تأثّر الشِّعر بالحضارة إذْ بحسبه كان شِعر عَدِيٍّ " أسلسَ" – بمعنى أرقّ – مِن شعر الفرزدق ورجز رُؤْبة؛ والفضل في ذلك يعودُ إلى تحضّر عَدِيٍّ بعيشه في المَدِينَة التي دلّل

---

[1] الوساطة بين المتنبّي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، ص25.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

عليها الجرجاني بكلمتَيْ " الحاضرة " و" الرّيف " وبُعده عن خشونة الأعراب في الوقت عينه.

وتتجلّى علاقة التأثُّر والتّأثِير بين الأدب والحضارة – أيضا – في قول الجرجاني: « فلمّا ضرب الإسلام بِجِرانه، واِتّسعت ممالك العرب، وكثُرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القُرى، وفشا التأدّب والتظرّف اِختار النّاسُ مِن الكلام ألينَه وأسْهَله، وعَمدوا إلى كلّ شيء ذي أسماء كثيرة اِختاروا أحسنها سمعا، وألطفها مِن القلب موقعا؛ وإلى ما للعرب فيه لغاتٌ فاقتصروا على أسلسِها وأشرفِها(...) وأعانهم على ذلك لِينُ الحَضارة وسهولةُ طِباع الأخلاق.»[1] ويُشير الجرجاني في حديثه عن اِتّساع رقعة العرب بفضل الفتوح الإسلامية إلى تطوّر الذّوق الأدبيّ* عند العرب المسلمين فقد أصبحت آذانهم لا تقبل إلاّ ألطف الألفاظ، وأصبحت ألسنتهم لا تجود إلاّ بأشرف العبارات تعفّفا وتأدّبا، وهنا يتجسّد

---

[1] الوساطة بين المتنبّي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، ص25.

* لقد حلّت الرّوح الإسلاميّة محلّ الرّوح القبليّة وأصبح الشّعر رسالة إنسانيّة لإقرار الحقّ والدّعوة للعدل، للتّفصيل أكثر يُنظر: دور الشّعر في معركة الدعوة الإسلاميّة أيّام الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن خليل إبراهيم ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د ط)،1971، ص242./ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي،ج2 دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان،1425 هـ/2005 م، (د.ط)، ص221 وص205.

تأثير الحضارة في الأدب مِن حيث إنّها تُليّن طبائع النّاس وتُهذّبها ممّا يجعل النّتاج الأدبيّ سَلِسًا وهادفًا في الوقت نفسه.

وخلاصة ما سبق، هي أنّ علاقة التأثّر والتّأثير بين الأدب والحضارة تكمنُ في التّكامل بينهما؛ إذْ إنّ الأدب الحضاريّ يُمهّد للحضارة ويرافقها خلال أطوار نموّها حتّى طور ذروتها فهو كالوعاء الذي يحمل قيمها وأفكارها وهذا ما تمّ توضيحه آنفا، وفي الوقت نفسه تجعل الحضارة من الأديب رقيقاً في ألفاظه راقياً في أخلاقه ممّا يجعل أدَبه جامِعاً بين الحقّ والجمال، وذلك بفضل حُسن الطّبع الذي يكتنفه من جرّاء إقامته في الحَاضِرة.

الفصل الأوّل: مضامين الشّعر الجزائريّ القديم من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ

1. المديح النّبوي
2. الزّهد والتصوّف
3. المدح
4. الوصف
5. الرّثاء
6. الحنين والإشتياق
7. الغزل والنّسيب
8. الشّكوى
9. الفخر
10. الموشّح

تتميّز الفترة الممتدّة مِن القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ بالوفرة المعرفيّة من حيث جهود الشّعراء الجزائريّين الذين أبدعوا في أغراض الشّعر المُختلفة، وقد اتّسمت نصوصهم الشِّعريّة بالجدّة في الطّرح.

وقال ابن قتيبة في هذا السّياق: « لم يقْصُر الله الشّعر والعِلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كلّ دهر، وجعل كلّ قديم حديثا في عصره. »[1] والجِدّة في الشِّعر الجزائريّ القديم لا تعني بالضرورة انسلاخ شُعرائِه عن ثقافة أسلافهم الأدبية في المشرق العربيّ[*].

ويرجّح عبد الرّحمن بن خلدون هذا الرّأي في قوله:« ثم لما كان الشِّعر موجودًا بالطبع في أهل كل لسان لأنّ الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحرّكات والسّواكن وتقابُلها موجودة في طباع البشر، فلم يُهجر الشّعر بفقدان

---

[1] العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، 2001، ج1، ص95 وص96.

[*] لقد نشأ الشّعر المغربيّ وتطوّر بفضل أواصر الودّ والألفة التي كانت بينه وبين نظيره المشرقيّ على الرغم من تباين الأزمنة والأمكنة، للتفصيل أكثر يُنظر: الشّعر المغربي القديم بين التأثير والتأثر، أمينة بن جماعي، مجلّة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان، العدد الثّاني، 2004م،ص91.

لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحوله وفرسان ميدانه (...) بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر أهل الأمصار يتعاطون منه ما يُطاوعهم في انتحاله ورصف بنائه على مهيع كلامهم.»[1] ويُفهم مِن هذا القول بأنّ مهارة الشّعر* مطبوعة في أهل كلّ عصر على الرّغم مِن تباين ألسنتهم مع لغة مضر التي تُعدّ – بحسب ابن خلدون– المرجع اللّغويّ الرّئيس الذي تنسج على منواله العرب المستعجمة والحضر وأهل الأمصار؛ والحجّة في ذلك تكمن في البشر الّذين جُبلوا على خاصّية توليد إيقاعات شعريّة مختلفة باختلاف التّقابل بين المتحرّكات والسّواكن في كَنَف نظام لغويّ موحّد تختزنه لغة مضر.

والأمر ذاته يَسْري على عمليّة الإبداع لدى الشّعراء الجزائريّين الذين وضعوا بصمتهم الخاصّة على أشعارهم دون الخروج عمّا دأب عليه أسلافهم حيث قال محمّد مرتاض عن هؤلاء الشّعراء:« وبلغت الجزائر يومئذ مستوى راحت الأقلام تتنافس فيما بينها، والحناجر تتغنّى في المحافل والبلاطات، وتلتقي غيرها

---

[1] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،ج3، ص1179.

* الشّعر هو مرآة تعكس حياة الأمّة في أطوارها المختلفة ويتأثّر بعواملها المتعدّدة، للتفصيل أكثر يُنظر: أصداء الدّين في الشّعر المصريّ الحديث، سعد الدّين محمد الجيزاوي، ج1، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مطبعة الرسالة ، ط1،مصر،(د ت)، ص83.

من الأقطار العربيّة الأخرى فتتنافح معها على إثبات الشّخصيّة، وتبارزها في شتّى الأغراض والموضوعات.»[1] وفي هذا القول دلالة على اِحتكاك الشّعراء الجزائريّين مع غيرهم مِن الشّعراء العرب وعلى إجادتهم لصنوف الشّعر المختلفة باختلاف موضوعاتها ممّا يثبت عملية التأثّر والتّأثير التي حدثت بين هؤلاء الشعراء على الرّغم من تنوّع أقطارهم.

وتجدُر الإشارة إلى خصوصيّة الشّعر الجزائريّ القديم الّتي تميّزه مِن غيره مِن الشِّعر[*]، وذلك ما عبّر عنه محمّد طول في قوله: « ولعلّ تزاوج المنهجيّتين: المشرقيّة الأندلسيّة، والمغربيّة الإفريقيّة، في صناعة الأدب الجزائريّ بفعاليته:الإبداعيّة والدّراسية، ترصده لنا وتسجّله التّآليف والمخطوطات الّتي خلّفها لنا أقطاب الأدب في الجزائر».[2] والمقصود هنا هو عمليّة التّلاقح الّتي حدثت بين الثّقافة العربيّة الإسلامية المشرقية مِن وجهة، والثّقافة الأمازيغيّة المغاربيّة من وجهة أخرى، وذلك من جرّاء الفتوح الإسلامية التي وصلت إلى مشارف فرنسا

---

[1] الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3 هـ إلى مطلع العصر الحديث، محمّد مرتاض، ط1، وزارة الثّقافة، الجزائر، 2014، ص12.

[*] إنّ الشّعر الجزائري القديم أصيل بأغراضه وخصائصه، ولغته، وأسلوبه، وموسيقاه وقوافيه، للتفصيل أكثر يُنظر: أثر القرآن في الشّعر الجزائري ما بين ق 7هـ وق 12هـ، عبد الصمد عزوزي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2009، إشراف أ.د محمّد زمري، ص 18.

[2] في النّقد الأدبي الجزائري القديم، محمّد طول، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران،2000، ص35.

مرورا بإسبانيا الّتي كانت مهدا للحضارة الأندلسية، الأمر الّذي أدّى إلى انبثاق الشّعر الجزائريّ القديم مُتمثّلاً في ثمار هذا التّمازج الثّقافيّ.

ولقد تنوّعت مضامين الشّعر الجزائريّ مِن القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ وتعدّدت بين مديح نبويّ، وزهد وتصوّف، ومدح، ووصف، ورثاء، وحنين واشتياق، وغزل، وشكوى، وفخر، وتوشيح، وسيتركّز هذا الفصل على الأغراض الشّعريّة التي عُثر على نماذج منها لتحليلها على النّحو الآتي:

1. المديح النّبوي:

وقد سُمّي بشعر المولديات* وذلك في الخمسيّة الهجريّة الثّانية إذْ دأَب سلاطين الجزائر** في تلك الفترة على إحياء ذكرى المولد النّبوي الشّريف في بلاطاتهم على شكل أمسيات شعريّة في مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم).

---

* كانت المدائح النبويّة والمولديات التي انتشرت في أرجاء البلاد الإسلاميّة، مدرسة، ووسيلة إعلان تربوية وفنيّة تجسّد القيم الدّينيّة، للتفصيل أكثر يُنظر: شعر المولديات في العهد الزياني، أحمد موساوي، مجلة الفضاء المغاربي، العدد03، 2005، ص225.

** إنّ التّاريخ يشهد لأبي حمّو موسى الثّاني بتأصيله للاحتفال بليلة المولد النبويّ الشريف، للتفصيل أكثر يُنظر: فن المولديات في الشّعر المغربي القديم، محمد مرتاض، مجلة الفضاء المغاربي، العدد 9/8، 2014، ص 30.

ويقول محمّد مرتاض عن الشِّعر الجزائريّ الذي كُتب في هذا الغرض:

« وهذا الشّعر ذو خصوصيّة أساسٍ تتمثّل بخاصّة في الإعراب الصّادق عمّا تكنّه العاطفة لهذا النبيّ العظيم، وتموج به المشاعر من حبّ عارم، وشوق كبير إلى رؤية النّبيّ والتّشفّع به.»[1] ويُفهم من هذا القول أنّ عاطفة الشعراء الجزائريّين كانت صادقة في التّعبير عن حبّهم واشتياقهم للرّسول الكريم (صلّى الله عليه والسلّم) ومن بين هؤلاء الشّعراء أحمد بن شعبان الذي أنشد بمناسبة إحياء ليلة مولده(صلّى الله عليه وسلّم) :

حَـازَ المَكَانَـةَ فِـي الشُّـهُورِ رَبِيـع ** وَتَأَسَّسَـتْ لِلْـدِّينِ فِيـهِ رُبُـوعْ

فَلِلَيلَتَـينِ بِـهِ وَعَشْـرٌ قَـدْ خَلَـتْ ** مِنـهُ لِأَحْمَـد مَولِـدٌ وَطُلُـوعْ

فِـي لَيلَـةِ الاثْنَـينِ حَسْـبُكَ لَيلَـةً ** فَحُلُوُّهَـا فَخْـرُ الرَّشَـادِ صَـدِيعْ

جَـاءَتْ بِـإِكْرَامِ مُنْتَقَـى مِـن هَاشِـم ** وَهُـمُ الـذِينَ لِبَيـتِهِمْ تَرْفِيـعْ[2]

تحدّث الشّاعر في هذه المقطوعة الشّعرية عن شهر ربيع الأوّل الذي وُلد فيه الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) مبرزا المكانة العظيمة التي يحظى

[1] الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3 هـ إلى مطلع العصر الحديث، محمّد مرتاض، ص141./ يُنظر: معجم أعلام شعراء المدح النّبوي، محمد أحمد درنيقة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 2003م، ص 32.

[2] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج3، ص299 وص 300.

بها هذا الشّهر بين سائر أشهر السّنة الهجريّة لأنّ فيه جاءت ليلة الاثنين حاملة نور الهداية والرّشاد، ثمّ انتقل إلى التّغنّي بنسبه الشّريف (صلّى الله عليه وسلّم) من بني هاشم الذين لهم مكانة رفيعة بين سادة قريش.

وواصل مدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

كبــر المَزَايَــا مَــا الإلَــهُ أَنَالَــهُ ** وَلَــهُ المَـدَى فِـي المُعْجِـزَاتِ وَسـيعْ

سَطَعَتْ كَمَـا وَمَضَـتْ بَـوَارِق أَو بَـدَا ** لِلْشّــمْسِ فِــي زَادِ النَّهَــارِ منُــوعْ

كَإِعَـادَةِ الشَّـمْسِ التِـي عَـنْ أَمْـرِهِ ** عَــادَتْ وَأَنَّــى بِالضُّــحَى سَــيطِيعْ

وَسَــعَى لَــهُ نَخْــلٌ وَعَــادَ مَكَانَــهُ ** فَكَأَنَّــهُ مَــا كَــانَ مِنــهُ فُــرُوعْ[1]

أتى الشّاعر على ذكر المعجزات التي أيّد الله بها نبيّه الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) وذلك لإبراز مقامه الشّريف، فهو المجتبى الذي سطعت من أجله البوارق وأومضت في ضروة النّهار وكأنّ الشّمس قد مُنعت من الظّهور ورُدّت له الشّمس بعد غروبا وكأنّه وقت الضحى وذهب إليه النّخل ورجع إلى مكانه وكأنّ جذوره لم تضرب في عمق الأرض قطّ.

وفي القصيدة نفسها تغنّى بمعجزاته(صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج3، ص 300.

وَبِنَبْــعِ عَــذْبِ المَــاءِ بَــينَ بَنَانِــهِ ** عــمَّ الجُيُــوش مِــنَ المِيَــاهِ نُبُــوعْ

وَبِتَفْلِــهِ عَــادَ الأُجَــاجُ سَلاَسِــلا ** فَانْسَـــاغَ مِنـــهُ مَـــوِردٌ وَشُـــرُوعْ

وَلَـــهُ ذِرَاعُ الشَّـــاةِ كَلَّـــمَ مُعْلِمـــاً ** بِالسُّـــمِّ وَهُـــوَ لِأَكْلِـــهِ مَوضُـــوعْ[1]

وقد تطرّق الشّاعر في هذه الأبيات إلى معجزة خروج الماء من أصابعه الشّريفة ليروي عطش جيش المسلمين، ثم انتقل إلى الحديث عن معجزة تحوّل الماء غير الصالح للشرب إلى ماء عذب بعد ما بصق فيه الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ليُعرّج بعد ذلك على معجزة إبلاغ ذراع الشّاة للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) عن السّمّ الذي وُضع فيه حين همّ بأكله.

ومِن الشّعراء الذين كتبوا في مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) حسن إبراهيم بن السبع (أبو الحسن) الذي قال بمناسبة إحياء ليلة مولده الشّريفة:

قَصَــدْتُ رَسُــولاً أَكْــرَمُ الخَلْــقِ كُلّهِــمْ ** وَأَفْضَــلَ مَــنْ تُثْنِــي عَلَيــهِ المَنَــابِرِ

سَــيِّدُ أَهْــلِ الأَرْضِ وَالكَــون كلّهــمْ ** وَأَوَّلُ مَــنْ تَنْشَــقُّ عَنْــهُ المَقَــابِرِ

أَبُــو القَاسِــمْ المَــاحِي مُحَمَّــدُ أَحْمَــدُ ** رَسُــولٌ أَمِــينٌ عَاقِــبٌ وَهُــوَ حَاشِــر

لَــهُ المَنْـزِلُ الأَعْلَـى وَفِـي حُبِّـهِ العُـلاَ ** وَمِــن أَجْلِــهِ الــدُّنْيَا وَعَنْــهُ المَفَــاخِرِ[2]

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج3، ص 300.

[2] المرجع نفسه،ج4، ص5 وص6.

وافتتح الشّاعر مقطوعته بوصف الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بأكرم خلق الله وأفضلهم، فهو أحقّ النّاس بالثّناء لأنّه سيّد العالمين وأوّلهم في الانبعاث مِن القبر، ومدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بأحبّ الأسماء على غرار (أَبُو القَاسِمْ)، و(المَاحِي)، و(مُحَمَّدٌ)، و(أَحْمَدُ)، ثمّ أتمّ أبياته بتأكيد منزلة الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) التي بلغت العُلاَ محبّة ومقاماً.

وتابع مدحه للرسول (صلّى الله عليه وسلّم) في القصيدة نفسها فقال:

تَقَــدَّمَ فَضْــلاً قَبْــلَ كُــلّ مُكَــوَّنٍ ** وَجَــاءَ لِنَصْــرِ الحَــقِّ وَالكُفْــرُ جَــائِر

أَيَــا خَــاتَمَ الإِرْسَــالِ وَهُــوَ إِمَامُهَــا ** وَسَــيِّدُهَا وَالفَضْــلُ فِــي الكُــلّ بَــاهِر

فَــأَحْيَى ربــوعَ الحَــقِّ بَعْــدَ دُرُوسِــهَا ** مُهَلَّلَــــةٌ بعــــد العفَــــا وَحَوَاضِــــر

وَجَــدَّدَ لِلْتَّوحِيــدِ عقــدَ شُــهُودِهِ ** بَــرَاهِين صِــدْقٍ كُلُّهُــنَّ بَــوَاهِر[1]

تحدّث الشّاعر في هذه الأبيات عن فضل الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم)على النّاس أجمعين إذْ بعثه الله لنصرة الحقّ على الرّغم مِن ظُلم الكفّار وطغيانهم، فقد جدّد للنّاس دين التّوحيد وأنار بالرّسالة التي جاء بها ربوع

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص6.

الحقّ بعدما أيّده الله عزّ وجلّ بمعجزات برهنت على صدق نبوّته (صلّى الله عليه وسلّم).

وفي جزء آخر من القصيدة استرسل الشّاعر في ذكر معجزاته (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

تَبَــدَّتْ بِآفَــاقِ القُلُــوبِ قَوَاطِعــاً ** فَقَـدَّت قَمِـيصَ الكُفْـرِ فَهِـيَ بَـوَاتِر

وَمَـا بَرِحَـتْ حَتَّـى أَزَاحَـتْ ضَـلاَلَهُ ** وَحَتَّـى أَرَاحَـتْ مِنـهُ وَالحَـقُّ ظَـاهِر

وَأَعْظَـمُ آيَـاتِ النَّبِـيِّ وَكُلّهـا ** عَظَـائِمُ آيَـاتٍ دَوَاعٍ زَوَاجِـر

تَبَـدَّتْ بِـأُفْقِ الرُّشْـدِ شَمْسًـا مُنِيـرَةً ** وَقَـدْ أُسْـلِبَتْ لِلْغَـيِّ سـودُ غَـدَائِر[1]

وهنا وصف معجزاته (صلّى الله عليه وسلّم) بالقواطع والبواتر التي مزّقت رداء الكفر ولم تزل، حتّى بعد ما ظهر الحقّ بنوره وزهق الباطل وتبدّدت ظلماته، فهي أعظم الآي التي أزالت بنورها سواد الغيّ كشمسٍ أضاءت أُفق الهِداية لذوي العقول السّليمة.

وفي القصيدة نفسها مدح الشّاعر الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

فَأَشْـرَقَ بِالتَّوحِيـدِ مَـا كَـانَ مُظْلِمـاً ** وَشَـابَتْ بِمَـا لاَقَتْـهُ تِلْـكَ الغَـدَائِرُ

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص 6 وص7.

أَتَـتْ مُعْجِـزَاتُ المُرْسَـلِينَ وَقَـدْ مَضَـتْ ** وَلَــمْ يَلْقَهَــا إِلاَّ الفَرِيــقُ المُعَاصِــرُ

وَمُعْجِــزَةُ الهَــادِي الشَّــفِيعِ مُحَمَّــد ** تَـدُومُ وَتَرْعَـى مَـا رعَـى الـنّجْم سَـاهِرُ

وَمَـا الحَصْـر قَصْـد المَـادِحِينَ وَإِنَّمَـا ** لِتَشْــنِيفِ آذَانِ الفَخَــارِ المَفَــاخِرُ[1]

وفي السّياق نفسه أكّد الشّاعر معجزات النّبي محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) التي أشرقت بنور التّوحيد وأزالت الغشاوة عن أولي الضّلال، حيث يُميّز بينه (صلّى الله عليه وسلّم) وبين سائر المرسلين عليهم السلام من حيث إنّ معجزاته دائمة في الزّمن على عكس ما سبقه من الرّسل الذين مضت معجزاتهم ولم يتلقّفها إلاّ أقوامهم الذين عاصروهم.

وأبدع في مدح الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) في جزء آخر من القصيدة نفسها فقال:

فَـلاَ الفَضْـلُ مَحْـدُودٌ وَلاَ المَـدْحُ بَـالغٌ ** وَلاَ الفَخْــرُ مَحْصُــورٌ وَلاَ المَجْــدُ

فَفِــي لَيلَــةِ الإِسْـرَاءِ فَضْـلاً وَرِفْعَـةً ** فَكَـمْ خُلِعْـتَ فِيهَــا عَلَيــهِ مَفَــاخِر

عَلَــى السَّــبْعِ يَرْقَــى نَحْــوَ مَجْــدٍ ** بِتِــرْدَادِهِ يَشْــقَى الحَسُــودُ المُكَــابِر

إِلَــى أَنْ أَتَــى مَــنْ قَــابَ قَوسَــينِ ** أَتَتْــهُ بِــهِ تَتْــرَى عَلَيــهِ البَشَــائِر[2]

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص 7.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

صرّح الشّاعر في هذه المقطوعة بأنّ مدح النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) لا يوفيه حقّه مهما بلغ من الدّرجات لأنّ مقامه رفيع وشأنه عالٍ بين الخلائق، ثمّ انتقل لذكر معجزة ليلة الإسراء والمعراج التي ارتقى فيها (صلّى الله عليه وسلّم) سبع سموات حيث نال أعلى المنازل عند الله عزّ وجلّ ولا يحسده في هذه المرتبة إلاّ مُكابر.

وقد نظم عبد المؤمن بن موسى المديوني (أبو محمد) في مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بمناسبة الاحتفال بليلة مولده وإحيائها فقال :

أَسْنَى النَبِيِّينَ، أَعْلاَهُمْ وَأَرْفَعهُمْ ** فَنُورُهُ يُخْجِلُ الأَنْوَارَ وَالشُّهُبَا

خَيرُ البَرِيَّةِ مِن عَرَبٍ وَعَجَم ** أَوفَاهُمْ ذِمَّةً، أَزْكَاهُمْ حَسَبَا

مِن أَجْلِهِ كَوَّنَ الأَكْوَانَ خَالِقُنَا ** كَمَا أَتَى فِي صَحِيحِ النَّقْلِ مُكْتَتِبَا

فَأَظْهَرَ الحَقّ إِذَا فَرَّتْ مَعَالِمُهُ ** وَسَادَ بُنْيَانُهُ مِن بَعْدِ مَا ذَهَبَا[1]

وقد بدأ الشّاعر هذه المقطوعة الشّعرية بمدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) والذي نال الرّفعة بين النّبيين بل وتخْجَل النّجوم والشّهب من نوره، فهو خير الأنام على اختلاف ألسنتهم ومن العبارات التي وظّفها للدّلالة على هذه المكانة العالية

[1] « أدباء وشعراء من تلمسان »: بوزياني الدراجي،ج4، ص17.

قوله: (أوفاهم ذمّة)، و(أزكاهم حسبا)، ثمّ أكد المنزلة الرّفيعة التي يستحقّها الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) نظير إظهاره للحقّ ونشره لنور الهداية.

وواصل في مدحه للرسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال في القصيدة نفسها:

وَقَــامَ يَــدْعُو الــوَرَى لله مُجْتَهِــداً ** مَـنْ كَـانَ مِـنهُمْ عَلَـى نَـايٍ وَمـنْ قربَـا

فَمَنْ أَجَابَ نجـا مِـن حَـرِّ نَـارٍ لَظّـى ** وَقَــدْ كَفَــاهُ الإلــهُ الأَمْــرَ وَالتّعبَــا

وَمَــنْ عَصَــاهُ فَمَثْــوَاهُ الجَحِـيم غَـداً ** يُسْــقَى حَمِيمــاً فَمَــا يُــرْوَى إذا شَــربَا

وَأبْعــدَ النَّــاس مِــن جَهْــلٍ أَضَــلَّهُمْ ** مِـن بَعْدِ مَـا اعْتَقَدُوا الأَصْنَامَ وَالنُّصبَا[1]

وضّح الشّاعر في هذه الأبيات الدّعوة التي قام بها الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) في سبيل نشر دين الإسلام حيث اجتهد في تبليغ الرّسالة لكلّ النّاس دون استثناء، فمن استجاب واهتدى فقد نجاَ من النّار والشّقاء ومَن أبَى عن الحقّ المبين فمصيره الجحيم التي يُسقى فيها مِن الحميم، ليكون الرّسول بذلك بشيراً ونذيراً للنّاس لإخراجهم من الضّلالة التي كانوا عليها حينما عبدوا الأصنام وإدخالهم إلى دين الله القويم.

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص17.

وفي القصيدة نفسها تغنّى الشّاعر بمعجزات الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

أَسْرَى بِـهِ اللهُ فِـي اللَّيـلِ البهِـيمِ إِلَـى ** السَّـبْعِ الطِّبَـاقِ فَحَـازَ الفَخْـرَ وَاقْتَرَبَـا

صَـلَّى بِمُوسَـى وَعِيسَـى وَالخَلِيـل بِهَـا ** وَعَحـين العَـرْشَ وَالأَسْـتَارَ وَالحُجُبَـا

أَدْنَـاهُ، كَلَّمَــهُ مِــن غَيــرِ وَاسِـطَةٍ ** ثُــمَّ اجْتَبَـاهُ وَأَعْطَـاهُ الَــذِي طَلَبَـا

أَتَــى رَبِيــعٌ بِــهِ أَهْــلاً بِوَاحِــدِهِ ** وَمَرْحَبـاً نِعْـمَ مَـا أَهْـدَى وَمَـا وَهَبَـا[1]

افتتح مقطوعته الشّعرية بالحديث عن ليلة الإسراء التي ارتقى فيها الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) سبع سموات ونال فيها مقربة من الله وعزّة، ثمّ ذكر الصلاة التي أمّ فيها محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) أنبياء الله على غرار موسى وعيسى والخليل عليهم السّلام، ثمّ تحدّث عمّا رآه النبيّ عندما أُسري به من أستار وحجب وعرش حيث كلّمه الله بغير واسطة بعد أن اجتباه وأعطاه ما طلب، واختتم مقطوعته بالتّغنّي بشهر ربيع الذي ولد فيه النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم).

ووجّه التماسه إلى الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ضمن مقطوعة شعرية من القصيدة نفسها فقال:

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص 17 وص18.

يَـا سَـيِّدَ الرُّسْـلِ إنَّ العَبْـدَ فِـي قـنطٍ ** مِمَّـا جَنَـى مِـن قَبِـيحِ الفِعْـلِ وَارْتَكَبـا

وَمَـا عَسَـى فِـي أُمُـورٍ كُلُّهَـا خطـلٌ ** وَمَـا تعَـدَّى وَمَـا أكـدَى وَمَـا انْتهبَـا

أَرْجُـو بِمَـدْحِكَ يَـا سُـؤْلِي وَيَـا أَمَلِـي ** فَــوزًا لِجَنَّــاتِ عَــدْنٍ لاَ أَرَى نصــبَا

فَأَنْــتَ أَفْضَــلُ مَــامُولٍ وُمُــدَّخَرٍ ** وَشَــافِعٍ لِمُسِــيءٍ جَــاءَ مُكْتَئِبَــا

صَــلَّى عَلَيــكَ إلــهُ العَـرْشِ خَالِقنَــا ** مَـا لاَحَ نَجْـمٌ بِـأُفْقِ الشَّـرْقِ أَو غَربَـا[1]

خاطب الشّاعر الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) مُعربا له عن النّدم الذي يكتنفه من جرّاء أخطائه وذنوبه التي أصابته بالقنوط، حيث يرجو أن ينال عفو الله ورضاه بمدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) الذي سيكون شفيعاً له يوم القيامة ليفوز بالجنّة، ثم اختتم أبياته بالصّلاة على خير البريّة فهو أفضل مأمول ومدّخر ليوم الحَشْر.

ومدح الرّسول(صلّى الله عليه وسلّم) في قصيدة أخرى فقال:

الهَاشِــمِيُّ المُصْــطَفَى عَلَــمُ الهُــدَى ** فَلَـهُ اللِّـوَى وَلَـهُ الشَّـفَاعَة فِـي الغَـدِ

يَومَــا يَقُــومُ النَّــاسُ مِــن أَجْــدَاثِهِمْ ** ذُهَّـلُ العُقُـولِ إلَـى المَقَـامِ الأَوحَـدِ

شُـــعَّثًا عُـــرَاة خَـــائِفِينَ وَفَـــوقَهُمْ ** شَــمْسُ تغــرّب وَالجَــوَارِحُ ترعــدِ

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 20 وص21.

وَالنَّـارُ جِـيءَ بِهَـا لِـتَلْفَحَ مَـنْ عَصَـى ** وَالخَلْـقُ فِـي قَلَـقٍ وَكَـرْبٍ مُجْهِـدِ[1]

لقد تطرّق إلى يوم القيامة الذي يَحمِل فيه الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) لواء الشّفاعة حين يقوم النّاس من قبورهم وهُم مذهولة عقولهم من هول الحشر حيث وصف حالتهم في قوله: وهم (شعّثا، وعراة، وخائفين، وفوقهم شمس تغرّب، وجوارحهم ترتعد) ؛ ثمّ استحضر مشهد النّار التي يُؤتى بها لتلفح بألسنتها وجوه العصاة ممّا يُضفي على الخَلق قلقا وكربا عظيمين من حدّة الموقف الذي يكون فيه النّاس في أمسّ الحاجة إلى شفاعته (صلّى الله عليه وسلّم).

وواصل في وصفه لأهوال يوم الآخرة فقال في القصيدة نفسها:

وَاللهُ رَبِّـي قَـدْ تَجَلَّـى لِلْقَضَـا ** بَـينَ العِبَـادِ فَيَـا لَـهُ مِـن مَشْـهَدِ

وَيَـوَدُّ مُقْتَـرِفُ الجَـرَائِمِ فِـي الـدُّنَا ** لَـو كَـانَ يَنْفَـعُ أَنَّـهُ لَـمْ يُولَـدِ

فَهُنَـاكَ يَشْـفَعُ شَـافِعٌ وَمُشَـفَّعٌ ** وَمُقَـرَّبٌ فِـي ظَـالِمٍ أَو مُعْتَـدِ

خَيْـرُ الـوَرَى مَحْبُوبُنَـا وَنَبِيُّنَـا ** فَهْـوَ الَـذِي نرجـو لِيَـومِ المَوعِـدِ[2]

تحدّث الشّاعر في هذه الأبيات عن يوم القيامة حين تُعرض الخلائق أمام ربّها لتحاسب عمّا كسبت في الدّنيا حين يتمنّى مُقترف الجرائم أنّه لم يولد

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 25.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من شدّة هول ما يرى، وفي هذا الموقف العصيب يكون النّاس في أمسّ الحاجة إلى شفاعة خير خلق الله محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) فهو خير ذُخر لليوم الموعود.

وذَكَّر في القصيدة نفسها بفضل الرّسول (صلّى الله وسلّم) على أمّته وحرصه عليها فقال:

يَومَـــا يُنَـــادِي أُمَّتِـــي يَـــا سَـــيِّدِي ** أَوَعَـــدْتَنِي وَعْـــدًا فَبَلِّـــغْ مَقْصِـــدِي

فَيُجِيبُـــهُ لَـــكَ يَـــا مُحَمَّـــدْ مَـــا تَشَـــا ** هَـذَا الجِنَـانُ بِهَـا فُلْـجْ ثـمّ أصْـعَدِ

وَاشْـفَعْ تُشَـفَّعْ وَاطْلُـبَنْ مَـا تَبْتَغِـي ** تُعْطَـى الَـذِي تَرْضَـى فَأَنْـتَ مُحَمَّـدِ

يُعْطَـى الشَّـفَاعَةَ وَالوَسِـيلَةَ وَالرِّضَـى ** أَكْـرِمْ بِـهِ مِـن شَـافِعٍ وَمُمَجَّـدِ[1]

تحدّث الشّاعر في هذه المقطوعة الشّعرية عن الرّسول صلّى الله عليه يوم القيامة حين ينادي أمّتي أمّتي طالبا من الله عزّ وجلّ أن يُشفّع فيها، حيث ينال مُبتغاه والعبارات الدّالة على استجابة الله لنبيّه (صلّى الله عليه وسلّم) هي: (لك يا محمّد ما تشا)، و(اشفع تشفّع)، و(تُعطى الذي ترضى)،

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 25 وص26.

واختتم هذه الأبيات بمدح للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فهو أَكْرَم نبيّ وخير من يُعطى الشّفاعة والوسيلة والرّضا.

واصل الشّاعر مدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال في القصيدة نفسها:

وَيَنَـــالُ إِذ ذَّاكَ الرِّضَـــى مِـــن رَّبِّـــهِ ** وَيَقَـــرُّ عَينـــاً بِـــالنَّعِيمِ السَّـــرْمَدِ

لَــولاَكَ مَــا كَــانَ النَّهَــارُ وَمَــا دَجَــا ** لَيــلٌ وَمَــا بَــانَ الصَّــوَابُ لِمُرشِــدِ

لَـولاَكَ لَـمْ تَكُـنِ الجَحِـيمُ لِمَـنْ عَصَـى ** لاَ لاَقَ لاَ الحُــور الحِسَــان لِمُهْتَــدِ

لَــولاَهُ ضَــلَّ النَّــاسُ فِــي غَشَــوَاتِهِمْ ** كُـــلٌّ يَتِيـــهُ بِمَهْمَـــهٍ وَبِفَدْفَـــدِ

صَـــلَّى عَلَيـــهِ الله فِـــي مَلَكُوتِـــهِ ** مَــا غَــرَّدَتْ ورقٌ عَلَــى غُصْــنٍ نَــدِ[1]

بدأ هذه الأبيات بذكر المقام الرّفيع الذي يحظى به الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) عند ربّه، وفي الوقت نفسه تحدّث عن فضله على النّاس أجمعين حين بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة على أكمل وجه، فلولاه ما بان الحقّ والدّين الصّحيح مِن الباطل والشّرك، ولولاه ما أُقيمت الحجّة على الكافر لتكون له الجحيم وما اتّبع المُهتدي نور الحقّ ليستحقّ رحمة ربّه وينال الحور الحسان، ولولاه لضلّ

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص26.

النّاس في غفلتهم عن نور الهُدى، ثمّ اختتم أبياته بالصّلاة على النبي (صلّى الله عليه وسلّم) راجياً من الله أن يُخلّد ذكره في ملكوته.

ومِن الشّعراء الجزائريّين الذين أنشدوا في مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) علي بن العطّار (أبو الحسن) الذي قال:

نَبِـــيٌّ مُصْـــطَفَى هَـــادٍ شَـــفِيعٍ ** بِمَولِـــدِهِ السَّـــعِيدِ لَقَـــدْ سَـــعِدْنَا

شَـــفِيعُ المُـــذْنِبِينَ غَـــدَاةَ حَشْـــرٍ ** مُقِيـــلُ عثَارنَـــا مِمَّـــا اقْتَرَفْنَـــا

لَقَـــدْ نِلْنَـــا بِـــهِ شَـــرَفًا صَـــمِيماً ** وَحُزْنَـــا المَكْرُمَـــاتِ بِـــهِ وَفُزْنَـــا[1]

مدح الشّاعر في هذه المقطوعة الشّعرية الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) واصفا إيّاه بالهادي الشّفيع الذي سعد النّاس بمولده فهو شفيع المذنبين يوم الحشر وبه يُنال الشّرف والمكارم في الدارين الباقية والفانية.

وفي موضع آخر من القصيدة نفسها تغنّى بمدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلم) فقال:

وَحَسْـــبُكَ مَدْحَـــةً وَعُلـــوَّ قَـــدْرٍ ** مِـــنَ الـــرَبِّ العَظِـــيمِ عَلَيـــهِ أَثْنَـــى

رَسُـــولُ الله يَـــا أَمَلِـــي وَسُـــؤْلِي ** وَيَـــا أَسْـــمَى الـــوَرَى قَـــدْرًا وَأَسْـــنَى[2]

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص42.

أكّد الشّاعر في هذين البيتين علوّ قدر النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) كيف لا وقد أثنى عليه ربّ العرش العظيم، فهو أسمى النّاس مقاما وشأنا وأحسن مرجوٍّ ومأمولٍ يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وقال محمد البطوي في مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) دائما بمناسبة إحياء ليلة مولده الشّريفة:

لَـكَ يَـا رَبِيـع قُـدُومَ أَشْـرَف مَولْـد ** تَزْهُـو مَطَالِعـهُ بِسَـعْدِ الأَسْـعَد

لَـكَ يَـا رَبِيـع عَلَـى الشُّـهُورِ مَزِيَّـة ** عُرِفَـتْ بِمِـيلاَدِ الرَّسُـولِ مُحَمَّـد

يَـا شَـهْر جِئْـتَ لَنَـا بِـأَكْرَمِ مُرْسَـل ** لِلْعَـالَمِينَ هُـدًى وَأَفْضَـل مُرْشِـد

مَـنْ خُـصَّ قـدْماً بِالشَّـفَاعَةِ وَاللِّـوَى ** وَاخْـتَصَّ بِـالحَوضِ الشَّـرِيفِ المـورد[1]

خاطب الشّاعر في هذه الأبيات الشّهر الذي وُلد فيه خير البريّة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) حيث يُخبره عن الخير والسّعادة التي جاء بها الأمر الّذي يُميّزه مِن سائر شهور السّنة، وفي الوقت نفسه مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) واصفا إياه بأكرم مُرسل وأفضل مرشد وذلك لتأكيد علوّ مقامه

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص49.

الشّريف و فضله على سائر النّاس بأن بلّغهم رسالة الهدى، فهو الذي خصّه الله بالحوض الشّريف وبالشّفاعة يوم القيامة.

وتحدّث في القصيدة نفسها عن مولده (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

بِظُهُــورِهِ الأَصْـــنَامُ وَالأَوثَـــانُ قَــدْ ** سَـجَدَتْ إِلَــى الصَّـمَدِ العَلِــيِّ الأَوحَـدِ

وَالنَّهْـرُ جَـفَّ وَلَـمْ يَسِـلْ وَالنَّـارُ قَـدْ ** خَمَــدَتْ وَكَانَــتْ قَبْلَــهُ لَــمْ تَخْمــدِ

وَقُصُــورُ قَيصَــر هُــدِمَتْ شُــرُفَاتهَا ** مِــن بَعْـدِ تَاسِــيسٍ وَحُسْــنِ تَشْــيِّدِ

وَارْتَـــجَّ إِيــوَانُ لِكِسْــرَى عِنْـــدَمَا ** ظَهَــرَتْ بَـــرَاهِينٌ لِيَــومِ المَولِـــدِ[1]

تحدّث الشّاعر عن الأحداث التي صاحبت ميلاد الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) حيث بدأها بسجود الأصنام والأوثان لربّ العرش العظيم، ثمّ ترّق بعد ذلك إلى جفاف النّهر وانطفاء نار فارس التي لم يسبق لها أن خمدت، وواصل ذكر حال قياصرة الرّوم وفارس حين ارتجّت قصورهم وتهدّمت شرفاتها من شدّة البراهين التي ظهرت يوم مولده (صلّى الله عليه وسلّم).

ومدح الرّسول(صلّى الله عليه وسلّم) في القصيدة نفسها فقال:

فَبِيُمْنِــــهِ فُزْنَــــا بِأَفْضَــــلِ مِلَّـــــةٍ ** تَهْــدِي لِــنَهْجِ الحَــقِّ كُــلَّ مُوَحِّــدٍ

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص50.

وَهَـــدَى إِلْـــى سُـــبُلِ الهِدَايَـــةِ بَعْـــدَمَا ** كُنَّـــا بِجَهْـــلٍ فِـــي ضَـــلاَلِ الأَرْبَـــدِ

فَالشِّـــرْكُ أَضْـــحَى وَهُـــوَ فِـــي ضِـــيقٍ بِـــهِ ** وَالـــدِّينُ فِـــي صـــعد بِبِعْثَـــةِ أَحْمَـــدِ[1]

افتتح الشّاعر هذه الأبيات بالإقرار بفضل النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) على جميع الخلائق لأنّه جاءهم بأسمى رسالات الحقّ بتكليف مِن ربّ العزّة حتّى يُقيم عليهم الحجّة، فهو بشير ونذير لأولي الألباب ليُرشدهم إلى سبيل الهداية بعد الجهل والضّلالة التي كانوا عليها، حيث أصبح الشّرك وأهله في ضيق مِن أمرهم وأصبح الدّين القويم في سعة مُذْ أن بعث الله أحمد (صلّى الله عليه وسلّم).

وفي جزء آخر من القصيدة نفسها مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

وَلَكَـــمْ لَـــهُ مِـــن مُعْجِـــزَاتٍ أَعْجَـــزَتْ ** بِـــدَلاَئِلَ مِـــن قَبْلِـــهِ لَـــمْ تُعْهَـــدِ

نِعْـمَ الرَّسُـولُ لَـهُ الهِدَايَـة فِـي الـدُّنَا ** لِلْمُهْتَـدِي وَلَـهُ الشَّـفَاعَة فِـي غَـدِ[2]

تغنّى الشّاعر في هذين البيتين بمعجزات الرّسول(صلّى الله عليه وسلّم) والتي أعجزت النّاس بدلائل وبراهين لم يُشهد لها مثيل من قبل، فهو نِعم الرّسول مُبشّراً ومنذراً في الدّنيا وهو نِعم الشّفيع في أُمّته يوم القيامة.

---

[1] « أدباء وشعراء من تلمسان »: بوزياني الدراجي، ج4، ص50.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقبل الانتقال إلى الغرض الموالي أنوّه بأنّ هذا النّوع من الشِّعر الجزائريّ القديم في الفترة المخصّصة للدّراسة كان كثيراً ممّا يتعذّر عليّ أن أورده كلّه، ولذلك أقتصر على ما ذكرت حتّى لا يطغى هذا الغرض على سائر الأغراض التي تعرّضت لها في هذا الفصل.

2. الزّهد والتصوّف:

يُعدّ الزّهد* والتصوّف من بين الأغراض التي كَتب فيها الشّعراء الجزائريّون في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ بحكم أنّ معظمهم كانوا فقهاء**، والجمع بين هذين الغرضين تقتضيه الضّرورة المنهجيّة نظراً للتّقارب بين مواضيعهما حيث قال محمّد مرتاض في هذا الصدد:« أدرجنا هذين الموضوعين في خانة واحدة، لأنّهما في الواقع متّصلان بعضهما ببعض

---

* الزّهد هو تجربة وجدانية تتضمّن صفاء النّفس وإخلاص القلب لدين الله، للتفصيل أكثر يُنظر: التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسيّة الهجريّة الثانية، محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009 م، ص17./التصوف في الإسلام منابعه و أطواره ، محمد الصادق إبراهيم عرجون، دار وحي القلم، بيروت، مكتبة وحي القلم دمشق، ط1، 2004م، ص82.

** لقد اهتمّ النّاس كثيرا بالكتب المؤلّفة في مجال التصوّف وبخاصّة في العهد الزّياني، للتّفصيل أكثر يُنظر تاريخ الدّولة الزّيانية، الأحوال الاقتصادية والثّقافية: مختار حساني،(د.ط)، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر،2009م،ج2، ص 215.

اتّصالا متكاملا ومتناسقا ومقترنا*، إذ إنّه كلّما ذُكر أحدهما تبادر إلى الذّهن ورود الآخر؛ لذلك نرى أنّ البحث فيهما معا أمر مقبول ومنهج منسجم بصفتهما يمثّلان أغصانا لدوحة واحدة.»[1] ويُفهم من هذا القول أنّ الزّهد والتصوّف تجمع بينهما علاقة تكامل لكن السّؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو الآتي: أيّهما يسبق الآخر الزّهد أم التصوّف؟

إنّ الإجابة على هذا السّؤال تُوجد عند محمّد مرتاض أيضا في قوله: « والجدير ذكره أنّ الزّهد غالبا ما يكون مِهادا ملائما، وأساسا متينا يتّكئ عليها التّصوّف، فالتصوّف تفلسف وتعمّق في الفكر، على حين أنّ الزّهد هو المرحلة الأولى المُهيّئة لنشأة التصوّف وتطوّره .»[2] والواضح هنا أنّ الزّهد هو المرحلة التي تسبق التصوّف بل وتؤسّس له، في حين أنّ التصوّف هو الذروة

---

* لم تظهر التّفرقة بين الزّهد والتصوّف إلاّ في القرن 3هـ، كما تشكّلت الطّرق الصّوفية والخوض في الكرامات في أواسط ق05هـ، للتفصيل أكثر ينظر: مدخل إلى التصوف الإسلاميّ، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م، ص 95./ التصوف في الإسلام، عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت)، (د ط)،ص59 وص87.

[1] الشّعر الوجداني في المغرب العربي من القرن الثّاني الهجريّ إلى نهاية القرن الخامس الهجريّ قراءة جماليّة وفنيّة، محمّد مرتاض، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015، ص69.

[2] المصدر نفسه، ص69.

التي يصل إليها الزاهد* حين يتعمّق فكره ويغور شعوره إلى درجة المشاهدة والحضرة.

ومن الشّعراء الجزائريّين الذين كتبوا في غرض الزّهد إبراهيم بن محمد بن علي التّازي** الذي فقال:

يَا صَاحِ مَنْ رُزِقَ التُّقَى وَقَلاَ الدُّنَا ** نَالَ الكَرَامَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالغِنَى

فَاصْرِفْ هَوَى دُنْيَاكَ وَاصْرِمْ حَبْلَهَا ** دَارَ البَلاَيَا وَالرزَايَا وَالعَنَا

وَودَادُهَا رَاسُ الخَطَايَا كُلِّهَا ** مَلْعُونَةٌ طُوبَى لِمَنْ عَنْهَا انْثَنَى[1]

خاطب الشّاعر المتلقّي ودعاه إلى التحلّي بتقوى الله ليُحقّق الكرامة والسّعادة والغنى، وفي الوقت نفسه يُحذّره مِن الانغماس في شهوات الدّنيا التي يصفها بدار البلايا والرزايا والعناء، ولن ينال طالبها النّجاة، فهي رأس الفتنة لمن يهواها ولن يُفلح إلاّ مَن عنها استغنى.

وواصل في القصيدة نفسها نصائحه وإرشاداته فقال:

---

* الزّاهد هو المجانب للملذّات، والعابد هو المداوم على الطّاعة، للتفصيل أكثر يُنظر: الخطاب الصوفي وآليات التأويل قراءة في الشعر المغاربي المعاصر – دراسة، عبد الحميد هيمة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية الجزائر، 2008م، ص76./ التصوف، ماسينون ومصطفى عبد الرازق، كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط1، 1984،ص51.

** توفي يوم 09 شعبان سنة 866هـ، يُنظر: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1، 1995م، ص218.

[1] نيل الابتهاج بتطريز الديباج،أحمد بابا التنبكتي، ط2، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000، ص 62.

لاَ تَغْتَـــرِرْ بِغُرُورِهَـــا فَمَتَاعُهَـــا ** عَـــرَضٌ مُعَـــدٌّ لِلْـــزَّوَالِ وَلِلْفَنَـــا

لَعِـــبٌ وَلَهْـــوٌ زِينَـــةٌ وَتَفَـــاخُرٌ ** لاَ تَخْـــدَعَنْكَ جِنَانُهَـــا مُـــرّ الجَنَـــى

خَدَّاعَـــــةٌ غَـــــدَّارَةٌ نَكَّـــــارَةٌ ** مَـــا بَلَّغَـــتْ لِخَلِيلِهَـــا قَـــطُّ المُنَـــى[1]

تضمّنت الأبيات نصائح بعدم الاغترار بالدّار الفانية التي سرعان ما يزول متاعها؛ فهي لعب ولهو وزينة وتفاخر لا تُسمن شهواتها ولا تُغني من جوع إذا ما قُورِنَت بالدّار الآخرة التي لا تُنال إلاّ بالباقِيات الصّالحات مِن أعمال الخير والتّقوى، ووصف الشّاعر الدّنيا بالخدّاعة والغدّارة والنكّارة التي لا تُوفي بعهْدٍ لمُريدها ولا تُبلّغه مُناه.

وتابع تحذيراته من الانخداع بالدّار الأولى فقال في القصيدة نفسها:

اليَـــومَ عِنْـــدَكَ جَاهُهَـــا وَحُطَامُهَـــا ** وَغَـــدًا تَـــرَاهُ بِكَـــفِّ غَيـــرِكَ مُقْتَنَـــى

فَاقْبَـلْ نَصِـيحَةَ مُخْلِـصٍ وَاعْمَـلْ بِهَـا ** يُـدْنِيكَ مِـن رِضْـوَانِ رَبِّـكَ ذِي الغِنَـى

يُـــدْخِلُكَ جَنَّـــاتِ النَّعِـــيمِ بِفَضْـــلِهِ ** دَارُ المقَامَـــةِ وَالمَسَـــرَّةِ وَالهَنَـــا[2]

عالج تقلُّب الدّنيا من حَالٍ إلى حال، فاليوم بيدك جاهها وحطامها وغدا تراه بكفّ غيرك. والشّيء نفسه يسري على سائر النّاس مهما بلغوا من درجات العزّ

[1] نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، ص62.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

والتّرف أو على النّقيض من ذلك، فالشّاعر هنا قد وجّه نصيحته إلى المتلقّي ودعاه إلى العمل بها ليَنال رِضوان الله ويَدْخُل جنّات النّعيم بفضله عزّ وجل فهي كما يصفها دار المقامة والمسرّة والهناء.

وقال إبراهيم التازي في قصيدة أخرى مِن الشّعر الصّوفي*:

أَبَـتْ مُهْجَتِـي إلاَّ الوُلـوُعَ بِمَـنْ تهـوى ** فَـدَعْ عَنْـكَ لَـومِي وَالنُّفُـوسَ وَمَـا تَقْـوَى

هَـوَانُ الهَـوَى عِـزٌّ، وَعَـذْبٌ أُجَاجُـهُ ** وَعَلْقَمُـهُ أَحْلَـى مِـنَ المَـنِّ وَالسَّـلْوَى

وَتَعْذِيبُـهُ لِلْصَّـبِّ عَـينُ نَعِيمِـهِ ** وَسَعْيُ اللَّـوَاحِي فِـي السُّلُوِّ مِـنَ العَدْوَى[1]

لقد عبّر عمّا خالجه مِن صَبَابَة إذْ لا يَودّ أن يلومه أحد عليها، فكلّ نفس تهوى بالقدر الذي تقوى عليه، بل ووصف وُلُوعَه هذا بالعذْب الأجاج الذي فاق عَلْقَمُه حلاوة المنّ والسّلوى، فهو يَرى أنّ العذاب الذي يَكْتَنِف شجيّته هو عين النّعيم.

---

* جاءت تسمية الصّوفي نسبة إلى لبس الصوف، وقد تنوعت تعاريف التصوف بحسب المشارب والأذواق منها أنّ التصوّف هو فلسفة حياة لتزكيّة النّفس أخلاقيّا، للتفصيل أكثر يُنظر:الشّعر الصوفي،عدنان حسين العوادي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986، ص24./ الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي اللبناني، بيروت، مج1، ط1، 1986، ص258./ شعر عمر بن الفارض– دراسة في الشعر الصوفي، عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1982م، ص14 .

[1] الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب: محمّد مرتاض، ط1، دار الأوطان للطباعة والنّشر، الجزائر، 2009، ج1، ص70.

ثُمّ ركّز على ضرورة حسن اختيار المرء لما تهوى نفسه حتّى لا يقع في النّدم فقال في القصيدة نفسها:

وَلَيسَ بِحُرٍّ مَنْ تَعَبَّدَهُ الهَوَى ** لِلَهْوِ الدُّنَى فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا تَهْوَى

فَمَا الحُبُّ إلاَّ حُبُّ ذِي الطَّولِ وَالغِنَى ** وَأَمْلاَكِهِ وَالأَنْبِيا، وَأُولِي التَّقْوَى[1]

تحدّث في هذين البيتين عن الإنسان الذي يتشبّث بِعَبث الدّنيا حيث يصفه بالعبد الذي لن يصبح حرّا إلاّ عندما يُحسن الاختيار لنفسه ما تهواه، فما الحبّ إلاّ حبّ الله عزّ وجلّ وملائكته وأنبيائه وأوليائه الصّالحين، ليكون بذلك قد صرّح عن سبب صبابته وولعه الذي عبّر عنه في هذه الأبيات والمتمثّل في تعلّقه بالله جلّ جلاله[*].

3. المدح:

إنّ غرض المدح من بين الأغراض الشّعريّة التي اشتغل عليها شعراء الجزائر من القرن الثّامن الهجري إلى القرن العاشر الهجريّ، وبخاصّة تلك النّصوص

---

[1] الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب: محمّد مرتاض،ج1، ص70.

[*] إنّ التّجربة الصّوفية تتمثّل في حبّ الله والاتّصال بحكمته، فصاحب الحال يتدرّج في المقامات حتّى يشعر أنّ محبّة الله تفيض عليه، للتّفصيل أكثر يُنظر: الرّمز الشّعري عند الصّوفية،عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983م، ص222./ الخطاب الصّوفي في الشّعر المغربيّ القديم، عبد الحميد هيمة، مجلة الأثر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، العدد05،2006، ص215.

الشّعريّة الموجّهة لمدح الملوك وتهنئتهم بمختلف المناسبات سواء أكانت احتفالاً بالمولد النبويّ* أم ذكرى للانتصار على الأعداء أو غيرها من المناسبات؛ قال ابن رشيق عن غرض المدح وشروطه التي يجب على الشعراء الالتزام بها في نصوصهم الشعريّة: « وسبيل الشّاعر إذا مدح ملِكاً أن يسلك طريق الإفصاح، والإشادة بذكر الممدوح وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقيّة، غير مبتذلة سوقيّة، ويجتنب مع ذلك التّقعير، والتّجاوز والتّطويل؛ فإنّ للملِك سآمة وضجرا، ربّما عاب من أجلها ما لا يعاب، وحرم من لا يريد حرمانه. »[1]

تضمّن هذا القول مجموعة من النّصائح للشّعراء تُمكّنهم مِن الابتعاد عمّا يشوب مدحهم للملوك مِن قبيل الإطالة والغموض والابتذال؛ فهذه الأشياء كفيلة بأن تَحيد بالنّص الشّعريّ عمّا يُراد منه كأن يسأم المَلك الممدوح ويضجر من الاستماع إلى القصيدة بدلاً من شعوره بالسّرور لِما يسمع، لذلك وجب

---

* لقد شاع الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف في المشرق ثمّ انتقل إلى بلاد الأندلس والمغرب العربي للتفصيل أكثر يُنظر: البنى الأسلوبيّة في مولديات أبي حمّو موسى الثّاني، خداوي أسماء، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري في ضوء المناهج النّقديّة الأدبيّة المعاصرة، كليّة الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلّة وهران، 2015، إشراف أ.د حسن بن مالك، ص 58.

[1] العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج2، ص77.

على الشّاعر أن يُراعي هذا الجانب بكلّ حرص حتّى يَبْلغ مرامه، وسبيله إلى ذلك هو أن تكون ألفاظه نقيّة ومعانيه واضحة وعباراته فصيحة.

وقال قدامة بن جعفر عن غرض المدح دائما: « لمّا كانت فضائل النّاس من حيث هم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب من الاتّفاق في ذلك؛ إنّما هي العقل والعفّة والعدل والشّجاعة؛ كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا، وبما سواها مخطئا. »[1]

ويتمحور هذا القول حول أربعة أركان أراد بها ابن جعفر أن تكون معياراً لصواب الشّاعر المادح من خطئه؛ فإن هو ركّز في مدحه على رجاحة عقل الممدوح وعفّته وعدالته وشجاعته يكون قد أوفى الممدوح حقّه وأحسن في مدحه وإن هو انشغل عن غير هذه الخصال الأربع يكون قد أخفق في مدحه وقصّر فيه.

ومن شعراء المديح الجزائريّين في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجري إلى القرن العاشر الهجريّ الشّريف التّلمساني الذي قال في مدح الخليفة الموحّدي المنصور:

---

[1] العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج2، ص80./نقلا:عن نقد الشّعر: قدامة بن جعفر.

أَسَــيِّدَنَا يَــا ابْــنَ الإمَــامَينِ أَمْــرُكُمْ ** مَنُــوطٌ بِــأَمْرِ اللهِ مَــا عَنْــهُ مَعْــدِلُ

نُصُــــرْتِمْ لِأَنَّ الحَـــــقَّ آنَ ظُهُـــورُهُ ** وَنَاصِــرُهُ فِــي اللهِ مَــا كَــانَ يُخْــذَلُ

أَزَلْـتُمْ عَلَـى مَـا يَنْفَـعُ النَّـاسَ جَهْلَهَـا ** وَعَلَّمْـتُمْ فِـي الـدِّينِ مَـا كَـانَ يُجْهَـلُ[1]

مدح الشّاعر في هذه المقطوعة الشّعرية الخليفة الموحّدي وهنّأه بالنّصر حيث أتى على ذكر شجاعة هذا الخليفة وعدله الذي يتجلّى في قوله:(نُصرتم لأنّ الحقّ آن ظهوره)، وتحدّث أيضا على رجاحة عقل الخليفة وعفّته حينما أماط عن النّاس جهلهم وشجّعهم على تعلّم ما ينفعهم من أمور دينهم، وواصل في القصيدة نفسها فقال:

وَأَوَرَدْتُـمْ السّلْسَـالَ مِـن شَـفَةِ الظَّمَـا ** أَوَانَ جَـرَى ذَاكَ الحَـدِيثُ المُسَلْسَـلُ

قَطَعْـتُمْ فُرُوعــاً قَـدْ أَضَـرَّتْ بِأَصْـلِهَا ** أَلاَ هَكَـذَا مَـنْ كَـانَ بِالعَـدْلِ يشْـمَلُ[2]

ذكر خصال الخليفة الذي يُشبه في تأثيره المحمود على رعيّته بأثر الماء حينما يجري على السّلسال، حيث أكّد عدل هذا الخليفة وشجاعته حينما قطع فروعا قد أضرّت بأصلها.

---

[1] الغصون اليانعة في شعراء المئة السّابعة، ابن سعيد الأندلسي،تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف،مصر، ط2، د.ت ، ص25.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وقال السلطان أبو زيان محمد في مدح ملك مصر الظاهر برقوق:

وَعَــن الأَمِيــرِ أَبِــي سَــعِيدٍ فَلْتَنُــبْ ** فَلَكَــمْ لَــهُ نَحْــوَ الرَّسُــولِ رَسُــولُ

مُتَحَمِّــــلٌ للهِ كِسْــــوَةَ بَيتِــــهِ ** يــاَ حَبَّــذَاكَ المَحْمَــلُ المَحْمُــولُ

سَــعْدُ الأَمِيــرِ أَبُــو سَــعِيدٍ أَنَّــهُ ** سَـيفٌ عَلَـى هَـام العِـدَى مَسْـلُولُ[1]

تحدّث الشّاعر في هذه الأبيات عن ملك مصر واصفا إيّاه بالسّيف المسلول على رقاب أعداء الأمّة وفي الوقت نفسه أشاد بخدمة هذا الملك لبيت الله الحرام ويتجلّى ذلك في قوله: " متحمّل لله كسوة بيته ".

وتغنّى بخصال ملك مصر فقال في القصيدة نفسها:

مَلِــكٌ يَحُــجُّ المَغْــرِبُ الأَقْصَــى بِــهِ ** فَلَهُــمْ بِــهِ نَحْــوَ الرَّسُــولِ وُصُــولُ

مَلِــكٌ بِــهِ نَــامَ الأَنَــامُ وَأُمِّنَــتْ ** سُــبُلُ المَخَــافِ فَــلاَ يُخَــافُ سَــبِيلُ

فَالمُلْــكُ ضَــخْمٌ وَالجَنَــابُ مُؤَمَّــلٌ ** وَالفَضْــلُ جَــمٌّ وَالعَطَــاءُ جَزِيــلُ[2]

وقال حسن إبراهيم بن السّبع في مدح السّلطان الزّياني أبي حمّو موسى الثّاني:

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص225.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وَأَيِّــدْ بِالنَّصْــرِ العَزِيــزِ خَلِيفَــةً ** لَــهُ المَجْــدُ إِرْثٌ وَالعُلَــى وَالمَــآثِرِ

هُــوَ البَحْــرُ جَــوَدًا وَالكَوَاكِــبُ رِفْعَــةً ** وَشَــمْسُ الضُّــحَى نَفْعــاً فَمَــنْ ذَا يُفَــاخِرِ

هُوَ المَلِكُ الزَّابِيُّ مُوسَى بْن يُوسُف ** أَبَــى الله إِلاَّ نَصْــرَهُ وَهُــوَ قَــادِر

لِــيُهَن تِلِمْسَــانَا إِيَــابَ مَلِيكِهَــا ** فَقَــدْ ذَهَبَــتْ عَنْهَــا النُّحُــوسُ الغَــوَابِر[1]

افتتح مقطوعته بالدّعاء للسّلطان الزّياني بالنّصر على أعدائه ثمّ خاض في مدحه إذْ شبّهه بالبحر في جوده وبالكواكب في رفعته وبشمس الضّحى في نفعه، ثمّ هنّأ مدينة تلمسان برجوع مَلكها الذي سيحميها مِن المتربّصين بها.

ثُمّ واصل في القصيدة نفسها مدحه للسلطان الزّياني فقال:

ويُهــن الــوَرَى طَــرا إِيَابــكَ سَــالِماً ** وَسَــعْدُكَ مَوفُــورٌ وَأَمْــرُكَ ظَــاهِر

تَبَـدَّتْ بِـأُفقِ الـيُمْنِ شَـمْسُ سـعُودِكُمْ ** فَأَجْفَــانُ شَــانِيهَا سَــوَاهٍ سَــوَاهِر

وَعَــادَتْ تِلِمْسَــانُ لِأَحْسَــنِ حَالَــةٍ ** فَكَـمْ بَعْـدَمَا سِـيمَتْ بِخسـفٍ يُسَـامِر

وَمُــدَّتْ ظِــلاَلُ الأَمْــنِ فَالكُــلُّ مَــامَنٌ ** وَسُـحَّتْ عِهَـادُ الخَيـرِ وَالجُـودُ غَـامِر[2]

إنّه يُهنّئ السّلطان الزّياني بعودته سالما إلى مدينته تلمسان ويصف قدومه بالشّمس التي تبدّت بأفق اليُمن والتي سهرت الأجفان من شدّة ترقّبها، ثمّ ينتقل

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص08.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إلى الحديث عن الحال التي أصبحت عليها تلمسان برجوع سلطانها حيث استرجعت حُسنها وانبسط فيها الأمن والخير وعادت السّكينة والهدوء لأهلها.

وبرّر دوافعه التي ألهمته لكتابة قصيدته في مدح الملك الزّياني فقال:

فَلِلّـــهِ مَــا أَلْقَــى السُّــرُورَ بِمُهْجَتِــي ** غَـدَاةَ اللِّقَــا أَو مَــا حَوَتْــهُ الضَّــمَائِر

وَمَــالِي وَنَظْــمُ الشِّــعْرِ لَــولاَ عَلاَقَــة ** وَمَــنْ لِــي بِــهِ لَــولاَ العُلَــى وَالمَــآثِر

كلفْتُ بِكُـمْ فَاحْتَلْـتُ فِـي نَيـلِ قُـرْبِكُمْ ** وَأَمِّلْــتُ مَعَــالِيكُمْ وَتِلْــكَ المَفَــاخِر

فَأَصْـبَحْتُ أَهْـذِي مِـن ثَنَـائِي عَلَـيكُمْ ** جَــوَاهِر نَظْــمٍ كُلُّهُــنَّ جَــوَاهِر[1]

لقد عبّر في هذه الأبيات عن فرحته بلقاء السّلطان الزّياني وعن الدّافع مِن وراء نظمه لهذه الأبيات والذي يكمن في رغبته في بناء علاقة وطيدة مع هذا السّلطان، والدّليل على ذلك قوله: (فاحتلت في نيل قربكم) وقد بلغ – كما صرّح – درجة الهذيان في الثّناء على السّلطان الزّياني الذي كانت مآثره وعلوّ شأنه مُحفّزا له لنظم هذه الجواهر من الشِّعر.

ويُبرّئ الشّاعر نفسه من التُّهم التي وُجّهت إليه بغرض تعكير صفو العلاقة الوطيدة التي تجمعه مع الملك الزّياني فيقول في القصيدة نفسها:

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص08 وص 09.

فَقَــالُوا مُحِبًّــا وَهُــوَ حَقًّــا يُحِــبُّكُمْ ** وَقَــالُوا وَزُورٌ قَــولُهُمْ هُــوَ شَــاعِر

فَكُــنْ مُنْصِــفِي مِــنهُمْ وَجُــدْ لِــي ** فَــلاَ شَــكَّ مَــولَى العَبْــدِ حَــامٍ وَنَاصِــر

وَدُمْ وَابْـقَ وَانْعَـمْ وَاسْـلَمْ وَسُـدْ وَجُـدْ ** تُضِــيءُ بِــكَ العُلْيَــا وَتَزْهَــى المَنَــابِر[1]

إنّها رسالة يزفّ بها الشّاعر إلى السّلطان الزّيانيّ مفادها أنّ النّاس قد اعتبروا مدحه له مجرّد وسيلة يُريد بها كسب رزقه ككلّ شاعر بِلاطٍ في حين أنّه يُكنّ له حُبّا صادقا، ويطلب من مَمْدُوحِه أن يُنصفه ويجود عليه فهو لا يشكّ في نصرته له، ثمّ يختتم مقطوعته بتمنّي بقاء السّلطان الزّياني ودوام نعمته وسلامته وسُؤدده وجوده فبه تَحْتفي المنابر وتُضاء المعالي.

4. الوصف:

يُعدّ غرض الوصف من أكثر الأغراض التي كتب فيها الشّعراء على اختلاف عصورهم والحال نفسه بالنّسبة للشّعراء الجزائريّين في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ؛ وقال ابن رشيق عن هذا الغرض: « الشّعر إلاّ أقلّه راجع إلى باب الوصف، فلا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتّشبيه، مشتمل عليه، وليس به، لأنّه كثيرا ما يأتي

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي،ج4، ص08 وص 09.

في أضعافه. والفرق بين الوصف والتّشبيه أنّ هذا إخبار عن حقيقة الشّيء، وأنّ ذلك مجاز وتمثيل. وأحسن الوصف ما نعت به الشّيء حتّى يكاد يُمثّله للسّامع. »[1] ويُفهم من هذا القول أنّ الوصف إجراء لا يُمكن للشّعراء الاستغناء عنه في مقطوعاتهم الشّعرية لذلك يتمّ تصنيف الشّعر في الغالب في باب الوصف باعتباره غرضا رئيسا من الأغراض الشّعرية.

إلاّ أنّه لا سبيل إلى حصره حيث يكتفي ابن رشيق بالتّفريق بين وبين التّشبيه، فالوصف هو إخبار عن حقيقة الشّيء بمعنى ذكره بالتفاصيل نفسها التي تتلقّفها الحواسّ في حين أنّ التّشبيه مجاز وتمثيل يعتمد على مخيّلة الشّاعر، ويرى ابن رشيق أنّ أحسن الوصف هو نعت الشيء لدرجة تجسيده في مخيّلة السّامع.

ومن بين الشّعراء الجزائريّين الذين كتبوا في غرض الوصف يوسف الثّغري الذي يصف مدينة تلمسان في قوله:

أَيُّهَـــا الحَـــافِظُونَ عَهْـــدَ الـــوِدَادِ ** جَـــدِّدُوا أُنْسَـــنَا بِبَـــابِ الجِيَـــادِ

وصــــــلوها أَصَــــــائِلاً بِلَيَــــــالٍ ** كَــــلآَلٍ نُظِمْــــنَ فِـــي الأَجْيَـــادِ

---

[1] العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج2، ص230.

فِـــي رِيَـــاضٍ مُنَضَّـــدَاتِ المَجَـــانِي ** بَـــينَ تِلْـــكَ الرُّبَـــى وَتِلْـــكَ الوِهَـــادِ

وَبُـــــــرُوجٍ مُشَـــــــيَّدَاتِ المَبَـــــــانِي ** بَادِيَـــاتِ السَّـــنَا كَشُـــهُبٍ بِـــوَادِي[1]

تحدّث الشّاعر في هذه الأبيات عن مدينة تلمسان حيث وصف بعض من أماكنها كباب الجياد، وطبيعتها الخضراء من رياض، وربى، ووهاد، وحصونها وبروجها العالية والمتقنة التّشييد وكأنّها شهب في السّماء.

ويُضيف الثّغري في وصفه لمدينة تلمسان وتغنّيه بجمالها فيقول:

رَقَّ فِيهَـــا النَّسِـــيمُ مِثْـــلَ نَسِـــيبِي ** وَصَـــفَا النَّهْـــرُ مِثْـــلَ صَـــفْوِ وِدَادِي

وَزَهَـــا الزَّهْـــرُ وَالغُصـــونُ تَثَنَّـــتْ ** وَتَغَنَّـــــتْ عَلَيْـــــهِ وُرْقٌ شَـــــوَادِي

فِيــــهِ لِلْحُسْـــــنِ دوحـــــةٌ وَرَايَـــــا ** وَانْشِـــــرَاحٌ لِـــــذِي فُـــــؤَادٍ قَـــــرِيحِ

وَحِجَـــارٌ تُـــدعا حِجَـــارَ طُبـــولٍ ** غَيـــرَ أَنَّ التَّطْبِيـــلَ غَيـــرَ صَـــحِيحِ[2]

وصف مدينة تلمسان وبهاء طبيعتها التي يرقّ فيها النّسيم وتصفوا فيها الأنهار وتزهوا فيها الورود والأزهار وتثنوا فيها الغصون التي تتغنّى على أوراقها العصافير، ففيها تنشرح النّفوس وتُشفى القلوب من قرحتها.

---

[1] أزهار الرّياض، أحمد بن محمّد المقريّ،ج2، مطبعة فضالة – المحمدية – د.ت،ص 334.

[2] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

ورسم في القصيدة نفسها أبهى صورة عن تلمسان حينما تطلّ الشّمس عليها فقال:

تَنْشُــرُ الشَّــمْسُ ثَــمَّ كُــلَّ غُــدُوٍّ ** زَعْفَرَانًــــا مُــــبَلَّلاً بِنُضُـــــوحِ

وَسُــبُوّ مِــن هُنَــاكَ يَسْــبِي عُقُــولاً ** وَيُجَلِّــي لِحــاظَ طَــرْفٍ طَمُــوحِ

وَعُيُــونٌ بِهَــا تَقَــرُّ عُيُــونٌ ** وَكَــلاَمٌ يَاسُــو كُلُــومَ الجَــرِيحِ

فُرِشَــتْ فَوقَهَــا طَنَــافِسُ زَهْــرٍ ** لَــيسَ كَــالعِهْنِ نَسْــجُهَا وَالمُســوحِ[1]

يصف الشّاعر في هذه الأبيات شمس تلمسان التي تنشر أشعّتها كلّ غدوٍّ وكأنّها زعفران مبلّل بنضوح، فهي تشغل أفق السّماء وتزيّنه بنورها وضيائها التي تتلألأ آسرة أعين النّاظر مُعجزة إيّاه عن الكلام.

5. الرّثاء:

يُعدّ الرّثاء مِن بين الأغراض الشّعرية الّتي كان لها نصيب عند الشّعراء الجزائريّين من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ، حيث يعرّفه ابن رشيق فيقول: « وليس بين الرّثاء والمدح فرق، إلاّ أن يخلط بالرّثاء شيء يدلّ على أنّ المقصود به ميّت مثل: (كان)، أو(عندما به كيت وكيت)، وما يشاكل

[1] أزهار الرّياض،أحمد بن محمّد المقريّ،ج2، ص 334 وص 335.

هذا ليعلم أنّه ميّت. وسبيل الرّثاء أن يكون ظاهر التفجّع، بين الحسرة، مخلوطا بالتلهّف والأسف والاستعظام، إن كان الميّت مَلِكا أو رئيسا كبيرا. »[1] ويُفهم من هذا القول أنّه يوجد قاسم مشترك بين المادح والرّاثي يتمثّل في ذِكر الشّاعر لمحامد الشّخص الممدوح أو المرثي وخصاله من قبيل الكَرم والجود أو العِلم أو الورع والتّقوى أو الخُلق الفاضل أو غيرها مِن المَكارم.

إلاّ أنّ الفرق بين المدح والرّثاء يبرز جليّا عندما يورِد الشّاعر كلمات تدلّ على أنّ المقصود هو إنسان ميّت حتّى يتّضح للسّامع أو المتلقّي بأنّه بصدد الرّثاء، ومن شروط الرّثاء أن يكون الشِّعر به تفجّع على الفقيد وحسرة عليه، بالإضافة إلى التلهّف والأسف والاستعظام إن كان للميّت شأن كبير.

ومن بين الشّعراء الجزائرييّن الذين كتبوا في هذا الغرض أحمد الزاوي الذي يرثي شيخه عبد الرحمن الثعالبي فيقول:

لَقَـدْ بَـانَ أَهْـلُ العِلْـمِ عَنَّـا وَأَقْفَـرَتْ ** مَنَـــازِلُهُمْ إِنَّـــا إِلَـــى الله نَرْجِـــعُ

---

[1] العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج2، ص96./ يُنظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدّول والإمارات، شوقي ضيف، دار المعارف للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1995م، ص191.

كَمَـا بَـانَ عَنَّـا شَـهْمُنَا العَـالِمُ الـذِي ** سَـــنَاهُ بِـــأَنْوَارِ الحَقِيقَـــةِ يَسْـــطَعُ

أَبُـو زَيـدٍ المَشْـهُورُ بِـالعِلْمِ وَالتُّقَـى ** لَـــهُ العِلْـــمُ فِيـــهِ وَالمَقَـــامُ المُرَفَّـــعُ[1]

افتتح الشّاعر هذه المقطوعة بالتحسّر على أهل العِلم الذين رجعوا إلى الخالق عزّ وجلّ حيث أقفرت منازله وتركوا فراغا في صفحات العِلم مِن بعد فراقهم ومِن بينهم عبد الرّحمن الثّعالبي الذي ذَكَره بِكُنْيته (أبو زيد) ووصفه بالشّهم العالم المُرفّع المقام في التّقوى والعِلم الذي يَسْطع بنور الحقيقة.

وواصل في ذكر خصال فقيده فقال:

صَـبُورٌ كَـرِيمُ الـنَّفْسِ يُكْسَـى مَهَابَـةً ** فَمَـــا إِنْ يَـــرَاهُ المَـــرْءُ إِلاَّ وَيَخْضَـــع

إِذَا مَــا بَــدَا كَالبَــدْرِ بَــينَ صــحَابِهِ ** وَهُــمْ هَالَـــةٌ دَارَتْ بِـــهِ حِــينَ يَطْلَـــع[2]

تحدّث في هذين البيتين عن شيخه حيث وصفه بالصّبور وبكريم النّفس الذي يلبس رداء المهابة والوقار فهو بهذه الخصال قد طَيّبَ ذِكْره ورَفعَ مِن مقامه وبخاصّة حين وصفه بالبدر.

وفي موضع آخر عبّر عن بالغ حزنه لفقدانه شيخَه فقال:

---

[1] الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3هـ إلى مطلع العصر الحديث مقاربة تحليليّة لمضامينه وموضوعاته وأشكاله، محمّد مرتاض، ص110./ نقلا عن تعريف الخلف للحفناوي 1/ ص39-46.

[2] المصدر نفسه، ص110.

أُصِــبْنَا بِــهِ فَــالله يُعَظِّــمُ أَجْرَنَــا ** وَيُلْهِمُنَــا الصَّــبْرَ الجَمِيــلَ وَيُوسِــع

فَيَــا سَــيِّدِي إِنِّــي رَثَيْتُــكَ رَاجِيًــا ** سُــلُوَّ قُلَيــبٍ مِــن فُرَاقِــكَ مُوجَــع[1]

يُعزّي الشّاعر نفسه في شيخه ويدعو الله أن يرزقه الصّبر الجميل ويوسّع عنه كربته، ويرجو أن يُخفّف عنه وقع الفاجعة التي أوجعت قلبه مِن شدّة التحسّر.

وعبّر عن المعزّة الشّديدة التي يكنّها لفقيده فقال فيه:

وَلِــي فِيــكَ حُــبٌّ زَائِــدٌ مُــتَمَكِّن ** حَوَتْــهُ سُــوَيدَاءُ الفُــؤَادِ وَأَضْــلُع

لَـئِنْ كَـانَ حَـظُّ العَـينِ مِنـكَ فَقَدْتُـهُ ** فَـإِنِّي بِرُؤْيَـا الـرُّوحِ فِـي النَّـومِ أَقْنَـع[2]

يتحدّث الشّاعر في هذين البيتين عن حبّه الشّديد لشيخه حيث يصفه بالحبّ الزّائد الذي اكتنف قلبه وصدره، ويُهدّئ من روعه حين صرّح بأنّه وإنْ حُرم مِن رؤية شيخه في الحقيقة فإنّ روح تَهْجع برؤيته في المنام.

6. الحنين والاشتياق:

إنّ الحنين والاشتياق مِن بين الأغراض الّتي جادت بها قرائح الشّعراء

الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3هـ إلى مطلع العصر الحديث مقاربة تحليليّة لمضامينه وموضوعاته وأشكاله، محمّد مرتاض ، ص 111.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الجزائريّين الذين لم يك لهم عزاء سِوى البَوح عن مكنوناتهم في أشعارهم مِن جرّاء ابتعادهم عن خلاّنهم، ومِن بين هؤلاء الشّعراء:

يقول أبو حمو موسى الثاني وهو يعبّر عن لوعة حنينه واشتياقه لأحبّته بعد فراقهم:

دَعْنِي أَنُوحُ عَلَيهِمْ طُولَ المَدَى ** أَبْكِي عَلَيهِمْ جَدْوَلاً فِي جدولِ

فَشَفَقْتُ لَمَّا أَنْ عَلِمْتُ حَدِيثَهَا ** وَالجَفْنُ يَغْرَقُ بِالدُّمُوعِ الهُطَّلِ

نَادَيتُهَا وَالجِسْمُ مِنِّي قَدْ فَنَى ** وَعَلَى فُؤَادِي غَمْرَةٌ لَمْ تَنْجَلِ

لَو ذُقْتِ يَا وَرْقَاءُ مَا قَدْ ذُقْتُهُ ** لَحرقت أَغْصَان الأَرَاكِ المُيَّلِ[1]

عبّر الشّاعر في هذه المقطوعة الشّعرية عن شدّة حزنه لفراق أحبّته والكلمات الدّالة على هذا الحزن (أنوح عليهم) و(أبكي عليهم)، وذلك ينمّ عن الحرقة التي تلفح قلبه؛ فلو ذاقت أوراق الأشجار ما يكتنفه من مرارة الاشتياق إليهم لاحترقت أغصانها.

وواصل في إعرابه عن حنينه واشتياقه لأحبّته فقال:

---

[1] الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3 هـ إلى مطلع العصر الحديث مقاربة تحليليّة لمضامينه وموضوعاته وأشكاله، محمّد مرتاض، ص120.

كَـمْ حُرْقَـةٍ كَـمْ زَفْـرَةٍ كَـمْ لَوعَـةٍ ** يَحْلُـو لَـدَيهَا كُـلّ صَـعْبٍ مُـذْهِل

وَشَـوَاهِدِي هُـمْ هَـؤُلَاءِ كَمَـا تَـرَى ** بَـانُوا، وَكُـلّ مبـينٍ لَـمْ يُجْهَـلِ

دَمْعِـي يَسِـيحُ وَزَفْرَتِـي لاَ تَنْقَضِـي ** وَالسَّـهَرُ أَنْحَلَنِـي، وَعـذل العُـذَّلِ[1]

صرّح الشّاعر في هذه الأبيات عمّا يختلج صدره مِن نار تجعل فؤاده يتّقد حنينا واشتياقا لأحبّته الذين يتذكّرهم كلّما نظر إلى آثار منازلهم المقفرة، فآثارهم تحزّ في نفسه وتُحفّز دمعه وتمدّ في زفرته لدرجة أنّه قد أصبح نحيلا من شدّة السّهر والتّفكير فيهم.

وتحدّى غيره من النّاس والجمادات وشكّك في قدرتها على تحمّل معاناته فقال:

لَـو ذَاقَ قَاسِـي القَلْـبِ مَـا قَـدْ ذُقْتُـهُ ** لَغَـدَوا سُـكَارَى فِـي مَحَـلٍّ مُهْمَـلِ

أَو حَـلَّ مَـا بِـي بِالجِبَـالِ تَدَكْـدَكَتْ ** دَكًّـا، وَأَمْسَـتْ مِثْـلَ كُحْـلِ المكْحَـلِ

وَالحَـالُ تُنْبِـئُ وَالكَوَاكِـبُ تَشْـهَدُ ** أَنِّـي أُرَاقِبُهَـا، وَلَـمْ أَتَخَيَّـلِ[2]

يصف الشّاعر في هذه الأبيات حَجْم معاناته التي لَو ارتشف منها قاسي القلب لحطّمت فؤاده وعقله وكأنه سِكّير يعيش في عزلة، ولَو أنّ الجبال وَقَع

---

[1] الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3 هـ إلى مطلع العصر الحديث مقاربة تحليليّة لمضامينه وموضوعاته وأشكاله، محمّد مرتاض، ص121.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

عليها ما حلّ به لسُحقت وأصبحت كرذاذ الكُحْل، وقد أشهد على نفسه الكواكب التي كان يراقبها من شدّة السّهر.

7. الغزل والنّسيب:

يُعدُّ الغَزَل والنّسيب مِن بين الأغراض الشّعريّة الّتي كتب فيها الشّعراء على اختلاف عصورهم، والحال نفسه بالنّسبة للشّعراء الجزائريّين في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ، ومِن بين هؤلاء الشّعراء أبو حمّو موسى الثّاني الذي قال في قصيدة عنوانها (كتمت حبّي) :

كَتَمْـتُ حُبِّـي فَأَفْشَـى الـدَّمْعُ كِتْمَـانِي ** وَزَادَ شَـــوقِي عَلَـــى قَـــيسٍ وَغِـــيلاَنِ

يَـا جِيـرَةَ الحَـيِّ إِنِّـي قَـدْ فُتِنْـتُ بِكُـمْ ** كَـمْ تَهْجُرُونِـــي كَـأَنِّي مُـذْنِبٌ جَـانِي

نَـــادَيتُهُمْ وَدُمُـــوعُ العَـــينِ هَامِيَـــةٌ ** بِـأَيِّ ذَنْـبٍ رَضِـيتِ اليَـومَ هُجْرَانِـــي[1]

يتحدّث الشّاعر في هذه الأبيات عن حبّه الذي عجز عن إخفائه بسبب دموعه التي كشفت عمّا يختلج شعوره من لوعة واشتياق، ليلمّح

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 312.

بعد ذلك إلى المقصودة من وراء هذا التّصريح ألا وهي جارة الحيّ التي يسألها عن سبب هجرانها له وكأنّه مُذنِب على الرّغم من افتتانِهِ بها.

وعبّر عن معاناته العاطفية وقلّة حيلته وصبره فقال:

يَا فِتْنَةَ القَلْبِ كَمْ لِي فِي هَوَاكِ وَكَمْ ** أَطَلْتِ هَجْرِي وَحَالِي صَارَ ضِدَّانِ

المَاءُ وَالنَّارُ تَشْكُو مِن فُرَاقِكُمْ ** وَحُبُّكُمْ قَدْ رَمَى قَلْبِي بِنِيرَانِ

كَمْ تَهْجُرُونِي وَهَجْرِي لاَ يَحِلُّ لَكُمْ ** المَوتُ أَهْوَنُ مِن بُعْدِي وَهُجْرَانِي[1]

يُخاطب الشّاعر في هذه المقطوعة فتنة قلبه مصرّحا لها بالعذاب الذي يكتنف مشاعره بسبب طول الغياب والهجراني الذي يُعاني منه حيث ساء حاله لدرجة أنّ الماء والنّار قد أحسّا به واشتكيا من لوعة الفراق بعدما اتّقد قلبه بحرقة الهوى، وأكّد أنّ الموت أهون عنده من أن يبقى على هذه الحال.

وخاطب محبوبته مستعطفا إياها فقال:

وَإِنْ عَزَمْتُمْ عَلَى بُعْدِي فَوَا أَسَفَا ** بَانَ الزَّمَانُ بِحَالِي أَيّ تَبَحين

يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مَا لِي عَنْكِ مُصْطَبر ** وَكَيفَ صَبْرِي وَصَبْرِي اليَومَ أَعْيَانِي[2]

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص 312.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يتأسّف الشّاعر في هذين البيتين على نفسه إن عزمت محبوبته على الابتعاد عنه لأنّ ساعتها سينقلب وضعه رأسا على عقب وتزداد معاناته، لذلك يُناديها واصفا إيّاها بأحسن النّاس لكي تَعْدل عن هجرانه لأنّه لا طاقة له لتحمّل فراقها بعدما تعب من شدّة الصّبر.

8. الشّكوى:

إنّ الإنسان بطبعه يَمِيل إلى التّعبير عن رفضه لكلّ ما يُغضبه سواءٌ أكان أفعالاً مُشينة في حقّه أم أوضاعاً مزرية في مجتمعه فما بالك إذا كان هذا الإنسان شاعراً.

وفي السّياق نفسه قال محمّد مرتاض: « قلّ من الشّعراء من لم يصوّر حاله وحال مجتمعه بحكم تدفّق عاطفته، وانسياب مشاعره في شَكاة مُحْرقة. »[1] فالأديب بعامّة والشّاعر بخاصّة هو مرآة لمجتمعه يُصوّر أحواله وينتقدها في عمله الإبداعيّ مُضْفيا عليه مشاعره الملتهبة وكأنّه يشكو للزّمان معاناته.

[1] الشّعر الوجداني في المغرب العربي من القرن الثّاني الهجريّ إلى نهاية القرن الخامس الهجريّ قراءة جماليّة وفنيّة، محمّد مرتاض، ص105.

ومن بين الشّعراء الجزائريّين الذين كتبوا في هذا الغرض في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ إبراهيم بن أبي بكر التّلمساني (960 هـ) الذي قال شاكيا متذمرا من تصرّفات البشر :

الغَـدْرُ فِـي النَّـاسِ شِـيمَةٌ سَـلَفَتْ ** قَـدْ طَـالَ بَـينَ الـوَرَى تَصَـرُّفهَا

مَـا كُـلّ مَـنْ قَـدْ سَـرَتْ لَـهُ نِعَـمٌ ** مِنـكَ يَـرَى قَـدْرَهَا وَيَعْرِفهَـا

بَـلْ رُبَّمَـا أَعْقَـبَ الجَـزَاءَ بِهَـا ** مَضَـرَّةً عَـزَّ عَنْـكَ مصْـرِفهَا[1]

تحدّث الشّاعر في هذه الأبيات عن صفة الغدر التي تطبع سلوك بعض النّاس حيث عبّر عن امتعاضه مِمّن يتّصفون بها، واشتكي مِن الذين يتمرّدون على صاحب النّعمة إن هو أبداها لهم بل ويُتبعونها بالأذى عِوضًا عن مقابلة الحسنة بخير منها أو بمثلها، ويبدو أنّه قد كانت له تجارب في حياته مع مثل هؤلاء في مجتمعه الأمر الذي دفعه إلى التّعبير عن غضبه في هذه المقطوعة الشِّعرية.

ومِن الشّعراء الجزائريين الذي كتبوا في غرض الشّكوى عبد الله بن أحمد الجزائريّ الذي قال عن الجزائر بمرارة وحرقة:

---

[1] الأعلام، خير الدّين الزّركلي، دمشق، ط8، ص 175.

دَعِ الجَزَائِــــرَ لاَ تَحْلُـــلْ بِسَـــاحَتِهَا ** فِـــي ذَا الزَّمَـــانِ، وَلاَ تَنْـــزِلْ بِوَادِيهَـــا

كِـدْنَا لِأَجْـلِ حُـدُوثِ الحَادِثَـاتِ بِهَـا ** نَخْتَـــارُ، وَاللهِ، السُّـــكْنَى بِوَادِيهَـــا

مِـن بَعْـدِ عَـيشٍ هَنِـيٍّ عَـمَّ سَـاكِنَهَا ** وَبَعْـــدَ عَافِيَـــةٍ حَلَّـــتْ بِنَادِيهَـــا

وَجُـلّ مَـا صَـرَّهَا مِـن أَهْلِهَـا نَفَـرٌ ** هُمْ فِـي الحَقِيقَـةِ أَضْحَوا مِـن أَعَادِيهَا

مَـــدَّ الإِلـــهُ عَلَيهَـــا ظِـــلَّ عَافِيَـــةٍ ** مِثْـل التِـي قَـدْ رَأَتْهَـا فِـي مَبَادِيهَـا[1]

يشكو الشّاعر في هذه الأبيات معاناته من جراء ما رأت عيناه من أحداث وقعت في الجزائر في تلك الفترة حيث كاد يترك العيش وسط مجتمعه ليذهب في عزلة عنه؛ والسّبب في ذلك هو تحوّل قلّة من أهل الجزائر إلى أعداء لها من أجل إضعافها بعدما كانت تعمّها السّكينة والعافية، ثمّ يختتم هذه المقطوعة الشّعرية بالدّعاء لبلده بأن تعود لسابق عهدها مِن العيش في هناء.

9. الفخر:

إنّ الافتخار بالنّصر على الأعداء يُعدّ من المواضيع التي ألّف فيها العديد من الشّعراء على اختلاف عصورهم وقد لا يقتصر الفخر على ذلك بل يتعدّاه إلى الافتخار بالنّفس والقبيلة.

[1] تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت (لبنان)، 1988م، ط1 ص 74.

وقال ابن رشيق في السّياق نفسه: « والافتخار هو المدح بعينه، إلاّ أنّ الشّاعر يخصّ به نفسه وقومه؛ فكلّ ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكلّ ما قبح فيه قبح في الافتخار. »[1] ويُستشفّ من هذا القول بأنّه يوجد تداخل بين الفخر والمدح إلاّ أنّ الفرق بينهما هو موضوع المدح فإن كان الشّاعر مدح غيره يُعدّ ذلك من غرض المدح وإن كان مدح نفسه فذاك هو الفخر بعينه.

ويُعدّ أبو حمّو موسى الثّاني من الشّعراء الجزائريّين الذين كتبوا في غرض الفخر في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ حيث قال مفتخرا ومتحمّسا لانتصاراته على أعدائه :

دَخَلْتُ تِلِمْسَانَ الَتِي كُنْتُ أَرْتَجِي ** كَمَا ذَكَرْتُ فِي الجفْرِ أَهْلَ المَلاَحِم

فَخَلَّصْتُ مِن غُصَّابِهَا دَارَ مُلْكِنَا ** وَطَهَّرْتُهَا مِن كُلِّ بَاغٍ وَجَارِمِ

لَقَدْ أَسْلَمُوهَا عَنْوًا دُونَ عِدَّةٍ ** لَقَدْ طَلَّقُوهَا بِالقَنَا وَالصَّوَارِمِ

[1] العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج2، ص92./ يُنظر أيضا: تاريخ الأدب العربي الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه، أعلامه وفنونه، غازي طليمات وعرفان الأشقر، ص135.

وَلَـمْ يُغْـنِهِمْ مَـا شَـيَّدُوا مِـن مَعَاقِـل ** وَ لَـمْ يُجْـدِهِمْ مَـا حَصَّـنُوا مِـن مَعَاصِـمِ[1]

افتخر الشّاعر في هذه الأبيات بانتصاره على أعدائه في معركة الدّفاع عن مدينة تلمسان التي حرّرها منهم بعد هزيمته لهم، حيث لم تُغنِهم حصونهم التي شيّدوها بل وسلّموه المدينة وهم صاغرين، وفي هذا افتخار بحنكته العسكريّة وقوّتها التي طهّر بها تلمسان من كلّ مُغتصب وظالم.

ويصف بطولاته بل ويتغنّى بها فيقول:

فَصَـارَتْ مُلُـوكُ الأَرْضِ تَـاتِي مُطِيعَـةً ** إِلَـى بَابِنَـا تَبْغِـي الْتِمَـاسَ المَكَـارِمِ

وَجَـاءَتْ لَنَـا مِـن كُـلِّ أَوبٍ وَوِجْهَـةٍ ** تُبَايِعُنَـا طَوعـاً وُفُـودُ العَمَـائِمِ

أَنَـا المَلِـكُ الزَّابِـي وَلَسْـتُ بِزَابِـي ** وَلَكِنَّنِـي مُفْنِـي الطُّغَـاةَ الأَعَـاظِمِ

إِذَا مَـا أَتَـتْ مِـن بَعْـدِ سِـتِّينَ سَـبْعة ** نُبِيـدُ مَـرِينَ كُـلّ طَـاغٍ وَجَـارِمِ[2]

واصل في هذه الأبيات افتخاره بأمجاده التي بلغ صيتها ملوك الأرض الذين أتوه طوعا وهم يلتمسون منه المكارم، حيث يصف نفسه بالملك الزّابيّ الذي يُفني الطّغاة مهما بلغوا من جبروت، ويضرب المثل بأعدائه من بني مرين

[1] الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3 هـ إلى مطلع العصر الحديث مقاربة تحليليّة لمضامينه وموضوعاته وأشكاله، محمّد مرتاض، ص 192.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الذين هَزَمَهُم بل ويَتوعّدهم إذا هم عاودوا الكرّة في الإغارة على مدينة تلمسان لأفناهم ولو بعد ردح من الزّمن.

10. الموشّح:

الموشّح هو فنّ ابتكره المتأخّرون من شعراء الأندلس* بعدما تهذّبت فنون الشّعر عندهم؛ ونَظْمُه يكون على شكل أسماطٍ وأغصانٍ متتالية القوافي والأوزان إلى آخر القطعة، ويسمّى المتعدد منها بيتا واحدا، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات، وينسِبون فيها ويمدحون كما يُفعل في القصائد.[1]

ومن بين الشّعراء الجزائريّين الذين كتبوا في هذا الفن محمّد التلاليسي التلمساني بمناسبة إحياء ذكرى المولد النّبوي بالبلاط الزّياني حيث أنشد يقول:

لِـــــــي مَـــــــدْمَعٌ هَتَّـــــانْ * يَنْهَـــــــلّ مِثْـــــــلَ الـــــــدُّرَرْ

قَــــــدْ صَـــــيَّرَ الأجْفَـــــانْ * مَـــــا إنْ لَهَـــــا مِـــــن أثَـــــرْ

*****

---

* تُعدّ الأندلس تُربة خصبة لنموّ فن التّوشيح، ونضجه، واستقلاله بذاته، للتفصيل أكثر يُنظر: فنّ التّوشيح في الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، مختاريّة طاهر، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري، كليّة الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلّة وهران،2016، إشراف أ.د مختار حبّار، ص 07.

[1] يُنظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ج3، ص 1189وص1190./ يُنظر: تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمّار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،2006م، ص 200.

حَـــقٌّ لَــــهُ يَجْـــرِي * دَمـاً عَلَـى طُـولِ الـدَّوَامْ * مــــذْ جَــدَّ فِـــي السَّـــيرِ

نَـاسٌ إِلَـى خَيـرِ الأنَـامْ * عَـــــــاقَنِي وِزْرِي * يَـا صَـاحِ عَـنْ ذَاكَ المَقَـامْ[1]

يُعبّر الشّاعر في هذه الأبيات عن صبابته واشتياقه لزيارة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث يتحصّر على أوزاره التي أعاقته عن بلوغه ذلك المقام الشّريف، الأمر الذي جعل جفونه تذرف الدّموع من شدّة الحزن والأسى.

ويصدح مبرزا لوعة اشتياقه لزيارة قبر الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فيقول:

وَسَـــــــــارَتْ الأَظْعَـــــــانْ * يُحْـــــدَى بِهَـــا فِـــي السَّـــــحَرْ

فَاسْتَبْشَـــــــرَ الرُّكْبَـــــانْ * بِقُـــــرْبِ نَيـــــلِ الـــــوَطَرْ

*****

يَــا سَــعْدَهُ مَــنْ زَارْ * قَبْـرَ النَّبِـيِّ المُصْـطَفَى * مُحَمَّـــدِ المُخْتَـــارْ

قُطْـبِ المَعَـالِي وَالوَفَـا * فِـي مَدْحِـهِ قَـدْ حَـارْ * الخَلْـــقُ طُـــراً وَكَفَـــى[2]

*****

واصل في هذه الأبيات حديثه عن رغبته في زيارة قبر النبيّ (صلى الله عليه وسلّم) بل وعبّر عن الحظّ السّعيد الذي يغمُر الرُّكبان المتّجهة إلى البقاع

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 74.

[2] المرجع نفسه، ص 74 وص75.

المقدّسة ويَغْبطها عن قرب وصولها إلى قبره (صلّى الله عليه وسلّم) ، ويصفه بقطب المعالي الذي احتار النّاس في مدحه بما يُناسب مقامه الشّريف.

ومدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فقال:

فِـــــي مُحْكَـــــمِ القُـــــرْآنْ * وَشَـــــــــــرْحِهِ وَالسِّـــــــــــيَرْ

فَضَّـــــــــلَهُ الرَّحْمَــــــــانْ * عَلَــــــى جَمِيــــــعِ البَشَــــــرْ

*****

يَـــا حَـــادِي الرَّكْـــبِ * بِـالله إِنْ جِئْـتَ البَقِيـعْ * تَحِيَّــــــةَ الصَّــــــبِّ

بَلِّـغْ إِلَـى الهَـادِي الشَّـفِيعْ * غَرِيــــبٌ بِــــالغَرْبِ * عَـنْ ذَلِـكَ المَغْنَـى الرَّفِيـعْ[1]

*****

تحدّث عن الفضل الذي ناله الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) من الله عزّ وجلّ حيث اصطفاه من بين جميع خلقه ورفع ذكره في القرآن الكريم ووهبه أعلى المنازل، ثمّ اختتم هذه الأبيات بتحيّته للهادي الشّفيع (صلّى الله عليه وسلّم).

وأخيرا كانت هذه بعض مِن المقطوعات الشّعريّة متنوّعة الأغراض من الشّعر الجزائريّ في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص75.

والتي يتبيّن بعد استقرائها أنّ هؤلاء الشّعراء الجزائريّين كانوا مبدعين بحقّ، مرهفي المشاعر في التّعبير عمّا يخالج صدوره سواء أكان شعرهم مدحاً للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) أم إبداعاً في سائر الأغراض، فالنّتيجة واحدة هي صدق العاطفة عند الشّعراء الجزائريّين الذين كان بعضهم من الملوك وأغلبهم من الفقهاء[*].

---

[*]إنّ معظم الأمراء والملوك والحكّام في المغرب الإسلامي كانوا فقهاء أدباء، للتفصيل أكثر يُنظر: الأدب المغربي القديم بين النّشأة والنّهضة (من الفتح الإسلامي إلى نهاية ق2هـ)، محمد مرتاض، مجلّة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان ، العدد الأوّل، 2002م، ص17.

الفصل الثّاني: جهود الشّعراء الجزائريّين من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ

1. أبو حمّو موسى الثّاني (ت 791هـ).
2. ابن أبي حجلة التّلمساني (ت 776هـ).
3. يحيى ابن خلدون (ت 780هـ).
4. التّلاليسي (بعد 767هـ).
5. يوسف الثّغري (بعد 776هـ).
6. محمّد التنسي (820هـ-899هـ).
7. ابن الخلوف القسنطيني (ت 859هـ).
8. الحوضي (ت 910 هـ).

يُعدّ النّتاج الشّعريّ الذي نظمه الشّعراء الجزائريّون من بداية القرن الثّامن الهجريّ وصولاً إلى القرن العاشر الهجريّ من الجهود التي أثْرت ولا تزال ساحة الأدب الجزائريّ القديم بعامّة، بل وتكمن قيمة هذا النّتاج الشّعريّ في تأريخه للحياة التي عاشها الجزائريّون في هذه الحقبة بمناحيها المختلفة السّياسة والاجتماعية والثّقافية والحضارية، ومن أبرز هؤلاء الشّعراء المبدعين الأعلام الآتية أسماؤهم:

1. أبو حمّو موسى الثّاني (723هـ-791هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

هو « موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيّان الأمير بتلمسان، يُكنّى أبا حمّو».[1]

❖ لمحة عن حياته:

كان مولده بمدينة غرناطة في أول عام 723هـ.[2] وقد نشأ في تلمسان، مثل

---

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدّين بن الخطيب، تحقيق محمّد عبد الله عنان، ط1، الشركة المصرية للطباعة والنّشر، القاهرة، 1975، ج03، ص 286.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 292.

غيره من أبناء الأمراء، فعرف حياة البلاط، ودرّسه أشهر العلماء، الأمر الذي أتاح له تحصيل مبادئ العربيّة والعلوم الدّينيّة.[1]

وكان وصوله إلى سدّة الحكم غرّة ربيع الأوّل في عام 760هـ، بفضل تحالفه مع قبائل العرب التي استعان بها لهزيمة أعدائه، وقد نَبُهت دولته، واتّقته جيرته، فهو اليوم ممن يشار إليه بالسّداد.[2]

وكانت وفاة هذا السّلطان الزّياني (أبو حمّو موسى الثاني) في 01 من ذي الحجّة عام 791هـ بعدما بلغ الثّامنة والستّين من العمر على يَدِ بعضٍ مِن رعاياه المنحازين إلى وَليّ عَهْده (أبو تاشفين) الذي تحالف مع الجيش المريني* من أجل الإطاحة بأبيه والاستيلاء على عرشه[3].

[1] ينظر: أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص 72.

[2] ينظر:الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدّين بن الخطيب، ج03، ص 287.

* لقد حاول المرينيّون الاستيلاء على مدينة تلمسان مرّات عدّة نظرا لقربها من عاصمتهم فاس، للتفصيل أكثر يُنظر: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان: الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 2011م، ج1 ، ص62.

[3] ينظر: أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص154 وص155./ العبر، عبد الرحمن بن خلدون،ج7، بيروت،1959،ص 299.

وقد خلّف أبو حمّو في ميدان الشّعر إحدى وعشرون قصيدة ضمّت ما يُناهز الألف بيت موزّعة على أغراض الشّعر المختلفة من فخر وحماسة ورثاء ومديح نبويّ إذ ورد بعضها في كتابه (واسطة السّلوك) وفي كتب المؤرّخين لدولة بني زيّان على غرار:(بغية الروّاد)، و(زهر البستان)، و(نظم الدر والعقيان)، و(راح الأرواح فيما قاله أبو حمّو وقيل عنه من الأمداح)[1].

❖نموذجات من خطابه الشّعري:

- **المديح النّبوي:**

تغنّى الشّاعر الزّياني أبو حمّو موسى الثّاني بفضل الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) على النّاس كافّة مُنشداً قصيدته الموسومة: (قفا بين أرجاء القباب) بمناسبة ليلة مولده (عليه الصّلاة والسّلام) فقال:

وَمـــاَ أَرْتَجِـــي إِلاَّ شَـــفاَعَة خَيـــر مَـــن * أَتَـــى بالهُـــدَى يَهْـــدِي لِـــدِينٍ حَنِيفِـــيّ

بِـــهِ يَرْتَجِـــي العاَصُـــونَ غُفْـــرانَ ذَنْـــبِهِمْ * وَمـــاَ عَملُـــوا فـــي الـــدّهْرِ مِـــن عَمَـــلٍ سَـــيّ

فَمَولِـــدُهُ قَـــدْ أَشْـــرَقَ الكَـــون كُلّـــه * وَكُـــلّ سَـــنَى شَـــمْسٍ وَبَـــدْرٍ ودرّي

[1] ينظر: أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، 1982، ص 209.

سَــلاَمٌ عَلَــى مَــن بــالبَقِيعِ وبــالحمى * سَــلاَمٌ عَلَــى البَـدْرِ المُنِيــرِ التّهــاميّ

سَلاَمٌ مِن المُشْتاَقِ موسى بن يوسف * عَلَـى خَيـرِ خَلْـقِ الله هـاَدٍ ومَهْـدّي

سَــــلاَمٌ مشــــوق أَثْقَلتْــــه ذُنُوبــــه * وأخّــر عَـن سَـير وقيّـد عَـن سَـعْي[1]

تضمّنت هذه الأبيات رَجاَءَ الشّاعر في شفاعة النّبيّ محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) وذلك في قوله: (وما أرتجي) و(به يرتجي)، ووصف مولده بالشّروق المُنير الذي يستمدّ نوره مِن النّجوم والكواكب الوهّاجة والكلمات التي وظّفها لهذا الغرض هي:(أشرق) و(شمس) و(بدر) و(درّي)، وبعث إليه (صلّى الله عليه وسلّم) سلامه وشوقه للقائه والكلمات الدّالة على ذلك هي: (سلام على من بالبقيع) و(سلام على البدر) و(سلام من المشتاق) و(سلام مشوق) وهذا يُبيّن شدّة الحنين الّتي يُكنُّها الشّاعر للمصطفي (عليه الصّلاة والسّلام) حيث تحسّر على ذنوبه التي اعتبرها كالقَيد الّذي أَخَّرُه عمّا يصبو إليه.

وعبّر(في القصيدة نفسها) عن رغبته الشّديدة في زيارة البقاع المقدّسة بعامّة وقبر الرّسول صلّى الله بخاصّة فقال:

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات ، ص 346 وص347.

بِيَثْــرِب قَلْبِـــي والحِجــاَز مَـــوَدَّتِي ** وإِنْ عــاَقَنِي عَـن كُـلِّ رشـد بِـهِ غيِّــي

بِنَفْسِــي ورُوحِــي أَهْـل طَيبَــة أَنَّهــاَ ** شِـــفاَءٌ مِـــن الآثَــامِ والزَّيــغِ والبَغْـــي

فَيــا لَيــتَ شِــعْرِياَ هَــلْ أَزُورُ مُحَمَّــداً ** وأُمْــنَحُ مــاَ أَهْــوَاهُ مِــن مُنْــزِلِ الــوَحي

لَــئِنْ أَخَّرْتَنِـــي عَـــن زِيــاَرَةِ أَحْمَــد ** قَلاَئِـــد أَمــر قَيَّـــدَتْنِي عَـــنِ السَّـــعْي

فَرَبِّـــي أَرْجُـــو أَنْ يَمُـــنَّ بِقُرْبِـــهِ ** قَرِيبـــاً وَشَـــوقِي لاَ يُقاَبَـــلُ بِالنـــاَي

عَلَيـــهِ سَـــلاَمُ الله مـــاَ حَـــنَّ شـــيق ** إِلـــى قَبْـــرِهِ يَطْـــوِي الفــــلا أَيّمـــاَطَيّ[1]

لقد بثّ في هذه الأبيات تعلّقه بالبقاع المقدّسة وحبّه لأهْلِها وتعطّشه لزيارتها حيث ذكر يثرب والحجاز وأهل طيبة والكلمات الدّالّة على هذا الارتباط المعنوي هي: (قلبي) و(مودّتي) و(بنفسي وروحي) فقد عبّر عن رغبة في التخلّص من ذنوبه التي أشار إليها في قوله: (الآثام والزّيغ والبغي)، وتمنّى من الله أن يستجيب لرجائه في زيارة قبر النبيّ والتّقرّب منه (صلّى الله عليه وسلّم) لأنّه بلغ من الحنين والاشتياق ما لا يقبل التّأخير حيث وظّف الكلمات الآتية: (ليت، وأرجو، وشوقي، وأهواه، وحنّ) ويبدو

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص347.

أنّه قد وجد في كتابته لهذه الأبيات فسحة للتعبير عمّا يجول في خاطره ليقلّل من وطأة معاناته.

وعدّد مُعجزات النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) في قصيدة أخرى مطلعها:

وَبَلِّــغْ إِلَــى خَيــرِ الأَنَــاَمِ تَحِيَّتِــي ** كَمــاَ نــمّ زَهْــرٌ فِــي الرِّيــاَضِ وَفاَحــاَ

نَبِــيٌّ لَــهُ فَضْــلٌ عَلَــى كُــلِّ مُرْسَــلٍ ** أَتَــتْ أَلْسُــنُ الــذِّكْرَى بِــذاَكَ فَصــاَحاَ

سَـرَى فَسَـماَ بِـالقُرْبِ مِـن رَبِّـهِ إِلَـى ** مَقـــاَم رأى الأمْـــلاَك عَنـــهُ نزاَحـــاَ

وَشُـقَّ لَـهُ البَـدْرُ المُنِيـرُ وَقَـدْ غَـدو ** لَــهُ لاَ إِلَــى البَـدْرِ المُنِيـرِ طَماَحـاَ

إِذاَ ظَمَــئَ الأَقْــوَامُ يَومًــا سَــقاَهُمْ ** بِمـــاَءٍ مَعِـــينٍ بِالأَناَمِـــلِ ســـاَحاَ

بِمَولِــدِهِ صُــبْحُ الهِداَيَــةِ قَــدْ بَــداَ ** فَــزاَلَ بِــهِ لَيــلُ الضَّــلاَلِ وَزاَحــاَ[1]

حيّا الشّاعر النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وشبّهه بالورود العطرة التي تطبع الحدائق الغنّاء وتضفي عليها رونقا بهيّا ونسيما زكيّا مذكّرا في الوقت نفسه بفضله (صلّى الله عليه وسلّم) على من سبقه من المرسلين، ثم تطرّق إلى معجزاته التي افتتحها بالإسراء والمعراج وذكر انشقاق القمر وعرّج على فضله على سائر النّاس يوم القيامة حينما تشرئبّ الأعناق وتتحني من أجل رشفة

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص353 وص354.

لا يظمئون بعدها أبدا، ووصف مولد الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بصّبح الهِداية الذي أزالت بنوره عتمة الضّلال حتّى تبيّن للنّاس الخيط الأبيض من الخيط الأسود في أمور دينهم ودنياهم على حدٍّ سواء.

ومن تعداد معجزاته (صلّى الله عليه وسلّم) ينتقل إلى تصوير ليلة مولده (صلّى الله عليه وسلّم) والاحتفاء بها فقال في القصيدة نفسها:

وَاَشْــــرَقَتِ الآفـــاَقُ بـــالنُّورِ عِنْـــدَماَ ** بَـداَ وَجْــهُ خَيــرِ المُرْسَـلِينَ وَلاَحــاَ

أَلاَ يـــاَ رَسُـــولَ الله دَعْـــوَة شـــيّق ** يؤمـــل آمـــالاً لَـــدَيكَ فَســـاَحاَ

مُقِــيمٌ بِغَــرْبٍ كـاَدَ مِــن فَـرْطِ حُبِّــهِ ** يَطِيــرُ اشْـتِياَقًا لَــو أُعِيــرَ جَناَحــاَ

وَمـــاَلِي سِـــوَى حُبِّـــي إِلَيــكَ وَسِــيلَةً ** أَمُـــدُّ بِهـــاَ نَحْـــوَ الشَّـــفاَعَةِ راَحــاَ

عُبَيــدكَ مُوسَـــى مِنــكَ يَرْجُــو شَـفاَعَةً ** يَنـاَلُ بِهـاَ يَـومَ الحِسـاَبِ نَجاَحــاَ

عَلَيــكَ سَـــلاَمٌ طَيِّــبَ النَّشْـــرِ عـــاَطِر ** يَـــرُوحُ وَيَغْـــدُو بُكْـــرَةً وَرَواَحـــاَ[1]

تابع وصف مولد الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بالنور الذي أضاء الدنيا عندما أطلّ عليها بوجهه الشّريف، ثمّ انتقل إلى الحديث عن رجائه في النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) واشتياقه للقائه حيث لا يُثنيه بُعد المسافة بين المغرب

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات،ص354.

العربيّ ومشرقه عن مرامه بل وتَوهّج حبّه له بشدّة لدرجة أنّه لو اِمتلك جناحين لطار إلى قبر النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم)، ويرّر هذا الحبّ بأنّه الوسيلة الوحيدة التي تتيح له نيل الشّفاعة التي تنجيه يوم القيامة، واختتم أبياته بسلامه على خير المرسلين.

وربط الشّاعر بين قدوم الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) حاملا لرسالة الحقّ وبين الأحداث التي وقعت للإمبراطوريات التي جاورت شبه الجزيرة العربيّة حيث قال في قصيدة عنوانها (هوينا الظبا):

نَبِـــــيٌّ أَتَـــــى رَحْمَــــــةً لِلْعِبـــــادِ ** وَأَظْهَـــرَ لِلْحَـــقِّ نُـــوراً خَبـــاَ

وَنِيـــرانُ فـــارِسَ قَـــدْ أُخْمِـــدَتْ ** فَلِلَّـــــهِ ذَلِـــكَ مـــاَ أَعْجَبـــاَ

وَكِسْـــــرَى تَســـــاقَطَ إِيواَنُـــــهُ ** وَذاَقَ مِـــنَ الرُّعْـــبِ كـــاَسَ الظَبـــاَ

وَخَــــرَّتْ قَواَعِــــدُ إِيواَنِــــهِ ** وَصـــاَرَتْ رَمِيمًـــا كَمِثْـــلِ الهَبـــاَ

وَكلَّمَــــتِ الـــوَحْشُ لِلْمُصْــطَفَى ** وَنَطَـــقَ الــذِّراَعُ لَـــهُ أَعْجبـــاَ

وَحَـــنَّ لَـــهُ الجِـــذْعُ مُسْتَوحِشـــاً ** وَكَلَّمَـــهُ الظَّبْـــيُ مُسْـــتَغْرِباَ[1]

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص360 وص 361.

تحدّث في هذه الأبيات عن بعثة الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) الذي جاء بالحقّ رحمة للعالمين و تطرّق للأحداث التي صاحبت هذا القدوم، حيث بدأ بنيران فارس التي انطفأت في صورة تدعو للعجب، ثم ذَكر تضعضع مُلك كسرى الذي تجرّع طعم الخوف والانكسار بعدما تدعدع إيوانه وأصبح نِسْيا منسيّا، ثمّ خاض في معجزاته (صلّى الله عليه وسلّم) التي افتتحها بالحديث إلى الحيوانات وغيرها كالذراع والجذع وذلك ليثبت يقينا بأنّه مؤيّد من الله عزّ جلّ.

لقد تطرّق للمعجزات التي أيّد اللهُ عزّ وجلّ بها نبيّه الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) فقال في القصيدة نفسها:

وَشُـــقَّ لَـــهُ البَـــدْر عِنْـــدَ التَمَـــامِ ** وَردَّتْ لَـــــــهُ الشَّــــــمْس أَنْ تَغْرِبــــــاَ

وأُسْـــــرِيَ بِـــــهِ لَيلَـــــةَ الارتقـــــا ** تَجَـــــلَّ عَـــــنِ الوَصْـــــفِ أَنْ تحســــــبا

فَيـــاَ سَـــيِّداً قَـــدْ حَبـــاَهُ الإلَـــهُ ** عَلَـــى الخَلْـــقِ طـــرّاً بِمـــاَ قَـــدْ حَبـــاَ

وَيـــاَ مَـــن سَـــماَ قَـــدْرُهُ رِفْعَـــةً ** وَيـــاَ مَـــن عَـــلاَ فِـــي العـــلا مَنصِـــباَ

يَخُصُّـــكَ مُوسَـــى بِـــأَزْكَى سَـــلاَمٍ ** يَـــــرُوقُ النُّفُـــــوسَ كنشــــــر الكبـــــا

وَمِسْـــكٌ فَتِيـــقٌ وَزَهْـــرٌ أَنِيـــق ** بِـــــرَوضٍ شَـــــرِيقٍ حَوَتْـــــهُ الربــــاَ[1]

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 361.

واصل في ذكر معجزات النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث انتقل إلى آية انشقاق القمر في منتصفه واِنكفاء الشمس عن الغروب وتحدّث عن ليلة الإسراء والمعراج، ثم ذَكَر نعم الله على النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) اِبتداء باصطفائه وصولاً إلى علوّ شأنه ومنزلته في العالمين، وخصّ النبيّ بسلامٍ خالصٍ ترتشفه النّفوس لشدّة رقّته وعنفوانه ومثله في ذلك كمثل المِسْك الطيّب والزّهر الجميل.

وتحدّث عن الخير الذي انبثق عن الرّسالة التي جاء بها الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال في قصيدة عنوانها (ألفت الضنى):

نَبِــيٌّ كَــرِيمٌ جــاَءَ بالرُّشْــدِ واَلهُــدَى ** إِلَــى كُــلِّ قَلْــبٍ فِــي الضَّــلاَلَةِ مــاَرِجِ

جَلَــى بالهُــدَى واَلرُّشْــدِ كُــلَّ ضَــلاَلَةٍ ** وَمَحَّـــى بِـــدِينِ الله دِيـــنَ الخَـــواَرِجِ

بِــهِ انْهَــدَّ إِيــواَنٌ لِكِسْــرَى وأُخْمِــدَتْ ** لِفــاَرِس تِلْـــكَ النــاَرُ ذاَتُ الوَهــاَئِجِ

واَشْــرَقَتِ الأَنْــوارُ مِــن نُــورِ أَحْمَــد ** فَمِنـــهُ اسْــتَفاَدَ الكَــونُ كُــلَّ المَبــاَهِجِ

فَبَــدْرُ الــدُّجَى واَلأَنْجُــمُ الزُّهْــرُ كُلُّهــاَ ** وَشَــمْسُ الضُّــحَى مِــن نُــورِهِ المُتَبــاَلِجِ

رَسُــولٌ أَتَــى بِــالمُعْجِزاَتِ فَلَــمْ تَــدَعْ ** بَراَهِينُهـــاَ مِـــن حُجَّـــةٍ لِلْمُحــاَجِجِ[1]

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 376.

بدأ هذه المقطوعة الشِّعرية بالإقرار بفضل الرّسالة التي جاء بها الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) على النّاس أجمعين إذْ اتّضح لهم الرّشد مِن الغيّ ونور الهُدى من الضَّلالة والدّين القويم مِن دِين الخوارج وقد أيّد الله حامل هذه الرّسالة بآيات وبراهين تصْدَح بصدق نبوّته ولا يتلقّفها إلاّ ذو عقل سليم، ومن بين هذه الآيات اِنهيار إيوان كسرى واِنطفاء نار فارس، وشبّه النبيَّ (صلّى الله عليه وسلّم) بالبدر الّذي أضاء الكون في اللّيلة الظلماء وبمصدر النّور الّذي تستمدّ منه النّجوم والشّمس أضواءها، وكِيده على ضعف حجّة أعداء الدّعوة الذين أفحمهم الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بمعجزاته.

وتغنّى بمعجزات النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) مؤكّداً صدق رسالته بذكر حججها الدّامغة فقال:

لَـــهُ آيَـــةٌ فِـــي الغـــارِ حِـــينَ اسْـــتَتَارَهُ ** عَـــن أَعْيُـــنِهِمْ بِـــالعَنكَبُوتِ النَّوَاسِـــجِ

وَللهِ مِـــن قَلْـــبٍ لَـــهُ غَيـــر نـــائِم ** وَجِسْـــمٌ إلـــى السَـبْعِ السـموات عـارِجِ

وَمِـن نَهْـرِ مـاءٍ قَـدْ جَـرَى مِـن بَنانِـهِ ** وَبَحْـــر عَطـــاءٍ بِالنَّـــدَى مُتَمـــاوِجِ

أَجَـــلُّ نَبِـــيٍّ فِـــي الخَلائِـــقِ شـــافِعٌ ** وَلِلْجُـــودِ بَـــذّالٌ وَلِلْكَـــرْبِ فـــارِجِ

وَمـــا الرُّسُـــلُ إلاَّ تَحْـــتَ ظِـــلِّ لِوائِـــهِ ** وَكُلُّهُـــمْ عَـــن جاهِـــهِ غَيـــر خـــارِجِ

وَسِـــــــيلَتُنَاَ للهِ حُــــــــبُّ نَبِيِّنَـــــــاَ ** بِصِـــدْقِ قُلُـــوبٍ لِلْقُبُـــولِ مَحــاَوِجِ[1]

تابع تعديد معجزات النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث بدأ هذه المقطوعة بغار حراء الذي اِستجاب فيه العنكبوت لأمر ربّها وسَتَرت النبيّ وصاحبه (رضي الله عنه) عن أعين المتربّصين بهما، ثمّ تحدّث عن ارتقائه صلى الله عليه وسلّم إلى السموات السّبع بجسمه الشّريف ثمّ ذكر معجزة خروج الماء مِن إصبع النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث وصفه بالبحر المِعطاء في جوده وشفاعته مؤكّدا في الوقت ذاته عُلُوّ منزلته بين الرّسل و ضرورة حبّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بصدق وإخلاص من أجل مرضاة الله عزّ وجل.

وتناول في القصيدة نفسها معاناته من جرّاء اشتياقه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

لَقَــدْ شَــغَلَتْنِي عَــن حِمــاَكُمْ قَلاَئِــدُ ** شُـغِلْتُ بِهـاَ عَـن قَطْـعِ تِلْـكَ المَعـاَرِجِ

سَـــلاَمٌ كَـــرِيمٌ مِـــن مُحِـــبٍّ مُتَـــيَّمٍ ** بِحُبِّـــكَ مَشْـــغُوفٌ بِـــذِكْرِكَ لاَهِـــجِ

سَـلاَمٌ مِـنَ المُشْـتاَقِ مُوسَـى بْنُ يُوسُـف ** مُقِـيمٌ بِأَقْصَـى الغَـرْبِ سُـدَّتْ نَـواَهِجِ

عَلَـى المُصْـطَفَى واَلآلِ واَلصَّـحْبِ كُلِّهِـم ** واَلأَنْصــاَرِ طَــراً أَوسُــهاَ واَلخَــزاَرِجِ[2]

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره»:عبد الحميد حاجيّات، ص 376 وص377.

[2] المرجع نفسه، ص377.

عبّر في أبياته هذه عن لوعة شوقه للنبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث يتوق للقائه بشغف وشبّه العوائق التي تحول بينه وبين ما يصبو إليه بالقلائد التي تحكم وثاقه وتمنعه عن مراده ولم يجد عزاء له سوى بعث سلامه من مكان إقامته بالغرب إلى (الرّسول صلّى والله عليه وسلّم) وآله وصحبه من الأنصار أوسهم وخزرجهم ممّا ينمّ عن تعلّقه ا بالبقاع المقدّسة على الرّغم من بعد المسافة الأمر الذي جعله يزفّ بمشاعره ويبثّها في شعره.

وصرّح عن رجائه في شفاعة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فقال في قصيدته الموسومة (خليلي قد بان الحبيب):

إِلهِيَ هَبْ لِي مِنكَ عَفْواً وَرَحْمَةً ** فَمَازِلْتَ يَا مَولاَيَ تُبْلِغُنِي القَصْدَاَ

وَعَبْدُكَ مُوسَى لَمْ يَزَلْ فِيكَ رَاجِياً ** وَمِن شِيَمِ المَولَى بِأَنْ يَرْحَمِ العَبْدَاَ

تَوَسَّلْتُ بِالمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِم ** أَجِرْنِي مِنَ النَارِ التِي أضْرَمَت وَقْدَاَ

نَبِيٌّ أَتَى وَالكُفْرُ بَادٍ ضَلاَلُهُ ** فَاَهْدِي الهُدَى لِلْخَلْقِ يَاَ حسن مَاَ أَهْدَى

هُوَ الرَّحْمَةُ الهَادِي الشَّفِيعُ لَنَاَ غَدا ** هُوَ المُصْطَفَى المُخْتَارُ يُلْهِمُنَاَ الرُّشْدَاَ

هُـوَ الـذّخْر لِلْهَـولِ الشَّـدِيدِ إِذاَ أَتَـى ** وَمَــن ذاَ سِــواَهُ لِلْمَخــاَفِ إِذاَ اشْــتَداَ[1]

افتتح أبياته بمناجاة ربّه ملتمساً رحمته وعفوه وراجيا منه عزّ وجلّ أن يُبلّغه المقاصد وهو على يقين بأنّ الله رؤوف بعباده، ثمّ توسّله بأحبّ خلقه محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) ليُجنّبه نار جهنّم التي التهبت سعيرا، ثمّ ذَكر مكارم النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث وصفه بالرّحمة المهداة وبالشّفيع المصطفى الذي يكون ذخرا من هلع يوم الدّين، ويتّضح في هذه الأبيات شدّة انشغال الشّاعر بالتّفكير في الدّار الآخرة الأمر الذي جعله يبلغ درجة الورع في مناجاة ربّه والتعلّق برسوله الكريم (صلّى الله عليه وسلّم).

واحتفى بمولده (صلّى الله عليه وسلّم) وخصّه بالمدح والثّناء فقال:

أَلاَ يــاَ رَبِيــعَ الخَيــرِ لاَ زِلْــتَ رائِقــا ** لَقَـدْ جِئْـتَ بِـالرَّحْمَى وَخَوَّلْتَنَــاَ السَّـعْداَ

لَـكَ الفَخْـرُ صُـلْ واَفْخَـرْ عَلَـى الحَـولِ كُلِّـهِ ** فأَنْــتَ لَنــاَ عِيــدٌ نُــوفِي لَــكَ العَهْـداَ

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 382 وص383./ واسطة السلوك في سياسة الملوك؛ لموسى بن يوسف بن عبد الرحمن الزياني أبو حمو الثاني (ت: 791هـ/1388م) نسخة مطبوعة بمطبعة الدولة التونسية بتونس، 1279 هـ 1862 /م.ص 172وص173.

أَتَيــتَ بِمَــن لَــمْ يــاَتِ دَهْــرٌ بِمِثْلِــهِ ** أَبَــرّ بِمِيثَــاقٍ وأَزْكــاَهُمْ مَجْــداَ

وَ أَعْظَــمُ عِنْــدَ الله جاَهًــا وَحُرْمَــةً ** واَنْــدَى الــوَرَى كَفــاَ إِذاَ سُــئِلَ الرفْــداَ

سَــلاَمٌ عَلَيــهِ طَيِّــب النَّشْــرِ عــاَطِرٌ ** يَفُــوقُ بِزِيــاَهِ الرَيــاَحِينَ واَلرَنْــداَ

سَــلاَمٌ مشــوق مِــن بِــلاَدٍ بَعِيــدَةٍ ** يَمُــوتُ وَيَحْيــاَ مِــن صَــباَبَتِهِ وَجْــداَ[1]

لقد خاطب الشّهر الهجريّ الذي وُلد فيه الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ودعاه إلى الفخر والاعتزاز على سائر أشهر السّنة الهجريّة كيف لا وقد حفل بقدوم الرّحمة المهداة التي غمرت الكون بالسّعادة ووصفه بربيع الخير وبالعيد لأنّه انفرد عن الدّهر كلّه بأن جاء بأبرّ النّاس وأزكاهم وأجودهم وأعظمهم عند الله منزلة ورفعة، ثمّ بعث سلامه إلى النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) واصفا إيّاه بطيّب العطر الذي فاقت نسماته رائحة الأزهار والرّياحين وعبّر عن صبابته التي اتّقدت شوقا إليه (صلّى الله عليه وسلّم).

- **الرّثاء:**

قال أبو حمو موسى الثّاني بمناسبة ذكرى وفاة والده في مطلع قصيدة له عنوانها: (صب تذكر عهدا):

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات،ص383.

مَــولاَيَ يُوسُــف أَفْجَعْـتَ البَنِــينَ وَقَــدْ ** أَضْــحَى وَلِيــدُكَ مُوسَــى ناَحِبــاً نَحْفــاَ

لَــو كُنْــتَ تُفْـدَى بِمــاَلٍ أَو بِـنَفْسِ فَتــى ** فَـدَتْكَ نَفْسِــي وَمــاَلِي كــي أَبِــي نَصْـفاَ

لاَ هَمَلْـــنَ دُمُـــوعِي مـــاَ حَيِيـــتُ وَاِنْ ** أَبْقــاَنِي العُمْــرُ تَرَفْــتُ الـــدَّماَ تَرْفــاَ

يــاَ فَقْـد يُوسُـف مــاَ أَبْقَيـتَ لِـي جَلَـداً ** يــاَ فَقْـد يُوسُـف إِنَّ الصَّبْرَ عَنـكَ عَفـاَ

مـــاَ مِثْـــل يُوسُـــف مَفْقُـــودٌ لِفاَقِـــدِهِ ** وَلاَ كَمُوسَـــى أَخُـــو فَقْــدٍ إِذا وَصْــفاَ[1]

عبّر في هذه الأبيات عن حزنه الشّديد بعد الفاجعة التي أصابته من جرّاء فقدانه لوالده، فقد تمنّى لو كان بمقدوره أن يفتديه بالمال والنّفس لكنّه لم يجد عزاء له سوى أن يبكيه بل وإن أبقاه العمر لذرفت عيناه الدّماء بدلاً مِن الدّموع، وافتقاده لوالده لم يترك له قوّةً على تجشّم عناء الفراق صبراً، لأنّه لن يسدّ شخصٌ آخر الفراغ الذي خلّفه فقيده في قلبه.

- **الفخر:**

سرد أبو حمّو موسى الثّاني وقائع المعارك التي خاضها برفقة جنوده، وافتخر في الوقت نفسه بشجاعتهم وقوّتهم في حسمها لصالحهم فقال:

قَطَعْـــتُ الفَيــــاَفِي بِـــالقِلاَصِ وإنَّمـــاَ ** تُجــاَبُ الفَـــلاَ بِـــالخُفِّ أَو بِالمَناَسِـــمِ

---
[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات،ص337.

وَقَــدْ خِلْتُهــاَ بَــينَ الرِّيــاَحِ زَواَبِعــاً ** تُســاَبِقُ فِــي البَيــداَ ظَلِــيمَ النَّعــاَئِمِ

مُكَحَّلَــةِ الأَحْــداَقِ فِيهــاَ هَشاَشَــةٌ ** مُهَمْلَجَــةِ الأَطْــراَفِ سُــودِ المَباَسِــمِ

وَمَعْهــاَ أُسُـودُ الحَـرْبِ تَطْـوِي بِهـاَ الفَـلاَ ** يَــرَونَ المَناَيــاَ بَعْـضَ تِلْـكَ المَغــاَنِمِ

وَخُضْــتُ الفَيــاَفِي فَدْفَــداً بَعْــدَ فَدْفَــدِ ** لِنَيــلِ العُــلاَ. واَلصَّــبْرُ إِذْ ذاَكَ لاَزِمِــي[1]

افتخر بالمعاركة التي خاضها مع جيشه وانتصاره على أعدائه على الرّغم من قسوة الطّبيعة وذلك يدلّ على قوّة تحمّلهم ورباطة جأشهم التي جعلتهم أقوى من خصومهم داخل أرض المعركة حينما اشتدّ وطيسها، وقد وصف خيول جيشه بالزّوابع التي تسابق الرّيح في البيداء ووصف جنوده بأسود الحرب التي يخشاها الأعداء.

- **الغزل:**

عبّر أبو حمّو موسى الثّاني عن معاناته العاطفيّة وهو يتحرّق حسرةً وألماً فقال:

أَلِفْتُ الضنَى وأَلِفْــــتُ النَّحِيبــــاَ ** وَشَــبَّ الأَسَــى فِــي فُــؤَادِي لَهِيبــاَ

وَحــقَّ لِنَفْسِــي أَسَــى أَنْ تَــذُوباَ ** وَلِلْــدَّمْعِ مِــن مُقْلَتِــي أَنْ يَصُوبَــا

---

[1] الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3 هـ إلى مطلع العصر الحديث، محمّد مرتاض، ص189.

وَقَدْ كُنْــــتُ بالوَصْـــلِ مِــــنكُمْ قَرِيبـــاَ ** فاَصْـــبَحْتُ بِـــالهَجْرِ مِـــنكُمْ غَرِيبـــاَ

جَفـــاَنِي الحَبِيـــبُ فَسُــــرَّ الحَسُـــودُ ** وأَدْنَـــى البَعِيـــد وأَقْصَـــى القَرِيبـــاَ[1]

تحدّث في هذه الأبيات عن لوعة الفراق التي ألهبت فؤاده حُزناً وحفّزت أجفانه لتجود دَمْعاً، فقد تمّ هَجْره كالغريب مِن بعد ما كان مِن الوَصْلِ بقريب، وابتعاد محبوبته عنه فسح المجال للحسود ليتشفّى في محنته الأمر الذي حَزّ في نفسه وجعله يُصرّح عن حُرْقتِه وألمِه.

كانت هذه نُبذاً من حياة أبي حمّو موسى الثّاني وشِعره التي استغرقت صفحات أكثر ممّا خصّص لغيره من الشّعراء في هذه الفترة لقيمته السّياسيّة والأدبيّة.

2. ابن أبي حجلة التّلمساني (725هـ-776هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

هو أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة التّلمساني، شهاب الدّين، أبو العبّاس[2].

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص361 .

[2] معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر،عادل نويهض، ط2، مؤسّسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت- لبنان، 1980، ص364./ العلماء الجزائريّون في البلدان=

❖لمحة عن حياته:

هو شاعر، أديب، وناثر، ولد بتلمسان بزاوية جدّه الشّيخ أبي حجلة عبد الواحد في سنة 727هـ، ورحل مع عائلته فزار الحجاز وأقام في دمشق لمدّة من الزّمن، ثمّ انتقل إلى القاهرة واشتغل بالأدب وأبدع فيه، وتولّي مشيخة الصّوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة ومات فيها بالطّاعون في سنة 776هـ، وكان حنفيّ المذهب، وله أكثر من ثمانين مصنّفا في الحديث والفقه والنحو والأدب منها (ديوان الصبابة) وغيره كثير.[1]

❖نموذجات من خطابه الشّعري:

- **الغزل:**

صرّح الشّاعر ابن أبي حجلة التّلمساني عن حرقته وصبابته التي فطرت قلبه فقال:

إذاَ أَقبلـت فِـي الحلْـي والطّيـبِ قِيـلَ لِـي ** حَبِيبُـــكَ بُسْـــتاَنٌ تضـــوعُ أزاَهِـــرُهْ

فـاَنْ رُمْـتُ مِنهـاَ وهْـي غَضْـبى الْتِفاَتَـةً ** ثَنَـتْ عِطْفَهـاَ نَحْـوَ الغـزالِ تُشـاَوِرُهْ

العربيّة الإسلامية، فيما بين القرنين التّاسع والعشرين الميلاديّين،عمار هلاّل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص182.

[1] ينظر: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص364 وص 365.

أُبَــرِّدُ مــا أَلْقــاهُ مِــن حَــرِّ هَجْرِهــاَ ** وَقَــدْ حَمِيَــتْ يَومًــا عَلَــيَّ هَــواَجِرُهْ

تَحَصَّنْتُ فِـي حِصْنِ الهَـوَى مِـن عـواَذِلِي ** وَبـاَتَ لِقَلْبِـي جَـيشُ هـمّ يُحاَصِـرُهْ[1]

بَثَّ الشّاعر في أبياته مشاعر الحرقة التي اكتنفت وجدانه بعدما لم يجد استجابة من حبيبته التي هجرته وتركت الهَمَّ يُحاصر قلبه حيث شبّه لوعة هذا الفراق بالنّار التي اشتدّ حرّها عليه والتي رامَ أن يُقلّل من وطأتها بإنشاده لهذه الأبيات التي تُعدّ عزاءه الوحيد فيما يمرّ به مِن مِحْنة.

- **المدح:**

مدح الشّاعر ابن أبي حجلة التّلمساني المَلك النّاصري نظير خصاله الحميدة فقال:

مَلِيــكٌ إِذاَ مــاَ جِئْتَــهُ حَسُــنَ اللِّقــاَ ** جَمِيــلُ المُحَيــاَ بــاَرِعُ الحُسْــنِ بــاَهِرُهْ

مَلِيــكٌ إِذاَ ســاَرَ كاَلبَــدْرِ فِــي الــدُّجَى ** فــاَوَلاَدُهُ مِثْــلَ النُّجُــومِ تُســاَيِرُهْ

مَلِيــكٌ لَــهُ فِــي كُــلِّ يَــومٍ وَلَيلَــةٍ ** بَشِــيرٌ تَواَلَــتْ بِالهَنــاَءِ بَشــاَئِرُهْ

مَلِيــكٌ أُسُــودُ الغــاَبِ تَحْــذَرُ باَسَــهُ ** لِأَنَّ مُلُــوكَ الأَرْضِ طُــرّا تُحــاَذِرُهْ[2]

---

[1] « من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة – »: محمّد مرتاض، ص 118.

[2] المصدر نفسه ، ص133.

افْتَتَح مقطوعة بمدح مظهر هذا الملك المتمثّل في بهاء الوجه وحُسن الشّكل المُبهر، ثمّ وصفه بالبدر الذي تُسايره النّجوم؛ والمقصود بهذه النّجوم أولاده، وذكر بشائر الخير والهناء التي تتوالى على ممدوحه في كلّ يوم وليلة وذلك للدّلالة على حسن تدبيره لأمور مُلْكه حيث وصفه بالمَلك الذي تحذره أسود الغاب وتُحاذره مُلوك الأرض والغرض من هذا الوصف هو تأكيد هيبته وشجاعته ووقاره.

- **الفخر:**

تغنّى ابن أبي حجلة التّلمساني بمقدرته على النّظم فقال:

وأيّ قَصِــيدٍ بَحْرُهــاَ لَــمْ يَــرُقْ لَــهُ ** وَغــاَئِصُ فِكْــرِي نــاَظِمُ الــدُّرِّ نــاَثِرهْ

وَلِـي فِيـهِ مِـن غـرِّ التَّصـاَنِيفِ خَمْسَـة ** وَهَـذاَ الَـذِي طَـوقُ الحَماَمَـةِ عاَشِـرهْ

يَضُــوعُ بِــهِ المَنثُــورُ كــاَلزَّهْرِ عِنْـدَماَ ** تُراَوِحُــــهُ رِيــــحُ الصَّــــباَ وَتُبـــاَكِرهْ[1]

افتخر في هذه الأبيات بملكته الفكريّة والشّعريّة التي مكّنته من الغوص في بحور القصائد التي نظم منها دُرَراً ، وبلغ من المصنّفات خمسة يصفها بالزّهور التي تداعبها ريح الصّبا فتنتثر نسيمها الطيّب، وقد وظّف هذا الوصف

[1] من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض، ص140.

للدّلالة على القيمة العلميّة والفنّية لمؤلّفاته التي يعتبرها نفيسة وليؤكّد مُكنته الأدبيّة التي يفتخر بها.

3. يحيى ابن خلدون (734هـ-780هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحسن بن خلدون.[1]

❖ لمحة عن حياته:

ولد بتونس في عام 734هـ ونشأ فيها؛ وأصوله من أسرة أندلسيّة من إشبيلية؛ هاجرت إلى برّ العدوة المغربية في سنة 630هـ.[2]

وقد حرص يحيى على كسب العِلم، وتولّى منصب الكتابة لدى أمير بجاية ثمّ كتابة السّر في بلاط السّلطان الزيّاني أبي حمو الثاني، حيث ألّف كتابه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد؛ في جزأين؛ وكان المصدر الأوّل لدولتهم

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحيى بن خلدون، تحقيق بوزيان الدراجي، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2007، ج2، ص11.

[2] يُنظر: أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص466.

وأهمّها، وأمّا وفاته فوقعت بتلمسان في إحدى ليالي رمضان؛ حيث اغْتِيل أثناء عودته من صلاة التّراويح في عام 780هـ. [1]

❖ نموذجات من خطابه الشّعري:

- **الغزل:**

عبّر الشّاعر يحيى ابن خلدون عن لوعته وصبابته في مطلع قصيدة أنشدها بمناسبة الاحتفال بالمولد النّبوي في البلاط الزّياني فقال:

ماَ عَلَى الصَّبِّ فِي الهَوَى مِن جُناَح ** أَنْ يُـرَى حلـف عَبْـرَةٍ وافْتِضـاَح

وإذاَ مـاَ المُحِـبُّ عيـل اصْـطِباَراً ** كَيـفَ يُصْـغِي إِلَـى نَصِـيحَة لاَح

يـاَ رَعَـى اللهُ بِالمُحَصَّـبِ رَبْعـاً ** آذَنَـتْ عَهْـدَهُ النَّـوَى بِـانْتِزاَح

كَـمْ أردنـا كـاَس الهَـوَى فِيـهِ مزْحـا ** رُبَّ جِـدّ مِـنَ الجَـوَى فِـي المُـزاَح[2]

تحدّث في هذه الأبيات عن صبابته التي تسبّبت في معاناته، فهو لم يجد مواسيا له في محنته من باب النّصيحة، ولم يستطع صبراً على البُعد والفراق،

[1] يُنظر: أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 466 وص 467.

[2] من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض، ص161.

ويُشبّه حالته بكأس الهوى التي زادته تعطّشا كلّما ارتشف منها وفي هذا دلالة على أنّه في حيرة من أمره لأنّه لم يجد حلاّ لوَقف نزيف مشاعره.

- **المديح النّبوي:**

مدح يحيى بن خلدون الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) محتفلا بليلة المولد النّبوي الشّريف فقال:

لـــــم أقـــــدّم وَسِـــــيلة فِيـــــهِ إلاَّ ** حُـبّ خَيـرِ الـوَرَى الشّـفِيعُ المـاَحِي

سَـــيِّدُ العـــاَلَمِينَ دُنْيـــاَ واَخْـــرَى ** أَشْـرَفُ الخَلْـقِ فِـي العُـلاَ واَلسَّـماَح

سَـيِّدُ الكَـونِ مِـن سَـماَءٍ وأَرْض ** سِــرُّهُ بَــينَ غاَيَــةٍ واَفْتِتــاَح

زَهْـرَةُ الغَيـبِ مظْهـرُ الـوَحْيِ مَعْنَـى ** النُّـورِ كُنْـهُ المِشْـكاَةِ واَلمِصْـباَح

آيَـــةُ المَكْرمـــاَتِ قُطْـــبُ المَعـــاَلِي ** مُصْـطَفَى اللهِ مِـن قُـرَيش البِطـاَح

أَوَّلُ الأَنْبِيـــاَءِ تَخْصِـــيصَ زُلْفَـــى ** آخِـــر المُرْسَـــلِينَ بعـــثَ نَجـــاَح[1]

عبّر الشّاعر لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حيث وصفه بالشّفيع وسيّد العالمين وأشرف الخلق وسيّد الكون وزهرة الغيب ومعنى النور وآية المكرمات

---

[1] من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض، ص 166 وص167.

والغرض من توظيفه لهذه الصّفات هو مدح رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وتأكيد مقامه الشّريف ومنزلته الرّفيعة بين خلق الله فهو المصطفى الذي اجتباه الله عزّ وجلّ ليكون للنّاس بشيراً ونذيراً في الدّنيا وشفيعاً لَهُم يوم القيامة.

- **المدح:**

مدح يحيى بن خلدون السّلطان الزّياني (أبو حمّو موسى الثّاني) وذكر فضائله فقال:

وأدِمْ دَولَـــــةَ الخَلِيفَـــــةِ مُوسَـــــى ** ذِي المَعـــاَلِي المُبَيَّنَـــةِ الأَوضـــاَح

مفْخـــر الملـــكِ مُسْـــتَقرّ المَرَايَـــاَ ** مظهــر اللُّطْـف ذُو التُّقَــى وَاَلصَّـلاَح

نَاَصِـرُ الحَـقِّ عـاَذِلُ الجُـورِ عَـدْلاً ** مَلْجـاَ الخـاَئِفِينَ بَحْـرُ السَّـــماَح

يَتَلَقَّـــى النّـــدَى بِوَجْـــهٍ حَيِـــيّ، ** وَيُلاَقِـــي العِـــداَ بِبـــاَس صِـــفاَح[1]

افتتح أبياته بالدّعاء للخليفة بدوام دولته ووصفه بذي المعالي ومفخرة المُلك، ومدحه ورفع من شأنه بذكر خصاله المتمثّلة في لطفه وتقواه وصلاحه ونصرته للحقّ وقهره للظّلم وحمايته للضّعفاء، واختتم مدحه بحديثه عن وقاره ورباطة جأشه.

[1] من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض، ص 169 وص170.

4. التَّلاليسي (...– بعد 767هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

محمّد بن أبي جمعة بن علي التلاليسي، أبو عبد الله.[1]

❖ لمحة عن حياته:

هو« طبيب، شاعر، أديب، من أهل تلمسان. برع في الطبّ، فقرّبه السّلطان أبو حمو موسى الثاني (760–791هـ) واتّخذه طبيبا لنفسه. له قصائد في المديح والوصف والرّثاء، وموشّحات جيّدة. »[2]

❖ نموذجات من خطابه الشّعري:

- **المديح النّبوي:**

تغنّى الشّاعر التّلاليسي بعلوّ شأن الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بمناسبة مولده الشّريف فقال:

نَبِـــيٌّ كَـــرِيمٌ شَـــرَّفَ الله قَـــدْرَه ** وَفَضَّـــلَهُ فِـــي القَبْـــلِ وَالبَعْـــدِ والحـــالَ

---

[1] من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض ، ص63.

[2] المصدر نفسه ، ص364

نَبِــيٌّ بِــهِ سُـدْنَاَ عَلَـى كُـلِّ أُمَّـة ** فَـــلاَ أُمَّـــة إلاَّ لَنـــاَ تَحْـــتَ إِذْلاَل[1]

مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) واصفا إيّاه بالنبيّ الكريم الذي شرّف الله قدره بين جميع خلقه، فبفضل دعوته التي كلّفه الله بها سادت أمّة الإسلام الأمم الأخرى مِن رومٍ وفرسٍ بل وأخضعت ضلالها إلى نور التّوحيد وأرشدتهم إلى سبيل الفلاح.

بيّن الشّاعر معجزات الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وفضله على أمّته فقال:

سَــماَ لِإِلَـــهِ العَــرْشِ وَاَللَّيـــلُ أَلْيَــل ** مِـنَ المَسْـجِدِ الأَقْصَـى إِلَـى المُرْتَقَـى العاَلِي

لِمَولِــدِهِ نُــورٌ عَلَــى الأَرْضِ قَـدْ بَـداَ ** غَـــداَ دُونَـــهُ بَــدْرُ الـــدُّجَى دُونَ إِكْمـــاَل

نَجَونــاَ بِــهِ مِــن كُـلِّ خَطْـبٍ يُرَوِّعُنــاَ ** وَاَنْقَـــذَناَ مِــــن كُـــلِّ خَــــوفٍ وأوجــــاَل

هُـوَ المُصْـطَفَى ساَدَ الأَنــاَمَ وَقَـدْرُهُ ** عَلَـــى كُــلِّ مَخْلُــوقٍ نَطَقَــتْ بِـــهِ عـــاَلِي[2]

واصل مدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) حيث تحدّث عن معجزة الإسراء والمعراج التي حباه الله بها وعن مولده الذي أنار بنوره الأرض والسّماء، وأكّد فضله على النّاس بأن جاءهم بشيراً ونذيراً في الدّنيا لينقضهم مِن غياهب

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص86 وص 87.

[2] المرجع نفسه، ص87.

الجهل والضّلال وفضله عليهم في الآخرة بأن يكون لهم شفيعاً، ثمّ ختم مقطوعته بالتّذكير بسموّ قدره (صلّى الله عليه وسلّم) الذي نطقت به المخلوقات كلّها.

- **الرّثاء:**

وممّا قاله الشّاعر التّلاليسي من الرّثاء في جنازة والد أبي حمّو: أبي يعقوب يوسف بن عبد الله مقطوعة الشِّعر الآتية:

فَجِعْـــتُ بِمَولاَنـــاَ الأَمِيـــر وَخَلَّفْـــتْ ** فِـــي الـــدَّمْعِ آفـــاَقَ الجُفُـــونِ تَغُـــور

كُنـــاَ نُؤَمِّـــلُ أَنْ تَـــدُومَ حَياَتُـــهُ ** لَكِنَّـــهُ ثَـــوبُ الحَيـــاَةِ قَصِـــير

رزءٌ أَلَـــمَّ فَمـــاَ لَـــهُ مِـــن دافِـــعٍ ** أَيُـــرَدُّ رزءٌ ســـاَقَهُ المَقْـــدُور

مَـــولاَيَ يُوسُـــفُ واَلِـــدُ الخلفـــاَ الَـــذِي ** منعـــاَهُ خَطْـــبٌ فِـــي الوُجُـــودِ كَبِيـــر[1]

عبّر عن الحزن الشّديد الذي فطر قلبه تفجّعا على مرثيّه حيث كان يتمنّى أن تطول حياته، لكنّه وعلى الرّغم من مرارة الأسى إلاّ أنّه يُقرّ بسنّة الحياة التي يُشبّهها بالثّوب القصير، ويخضع للقدر المحتوم الذي لا مفرّ منه، وينهي أبياته بنَعْيِ يوسف واصفا وفاته بالمُصاب الجَلَلْ.

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص72 وص 73.

- **الموشّح:**

مدح التلاليسي السّلطان الزياني (أبو حمّو موسى الثّاني) فقال:

شَـــهْمٌ جَـــوادٌ كَثِيـــرُ البَـــذْلِ * بِـهِ اعْتِصـامُ الـوَرَى فِـي المَحْـلِ

بِـــهِ تِلِمْســـانُ ذاتُ الحُسْـــنِ

فِيمـا اشْـتَهَتْ مِـن مُنَـى وأَمـنِ

بَغْـــداَدُ شَـــوقًا لَهـــا تُغَنِّـــي[1]

مدح الشّاعرُ السّلطان الزّياني بوصفه بالشّهم والجواد الذي يساعد النّاس في وقت الضّيق، وتغنّى بحسن تدبيره لشؤون دولته واستدلّ في ذلك بالأمن والرّخاء* الذي نَعمَ به أهل مدينته تلمسان التي بلغت من البهاء ما جعل بغداد عاصمة العبّاسيين تغنّي شوقا لها على الرّغم من مكانتها الحضارية.

وقد أثنى على خصال السّلطان الزياني وحكمته فقال في الموشّح نفسه:

أَجْـــزَتْ لَنـــاَ مِـــن دِيـــاَرِ الخِّـــلِّ * رِيـــحُ الصَّـــباَ عـــاَفِرَاتُ الـــذَّيلِ

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص81.

* لقد ازدهرت الصّناعة الحِرفيّة والفلاحة والتّجارة في تلمسان وامتلأت خزينتها بالأموال ممّا ساعد السّلطان الزّياني على تنمية دولته، للتّفصيل أكثر يُنظر نُظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزّيانية: الدراجي بوزيان، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م ، ص218./ تلمسان عبر العصور: محمد بن عمرو الطمار،(د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 98 .

يــــاَ أَيُّهـــاَ المَلِـــكُ المَنصُـــورُ
يـــاَ مَـــن لَـــهُ الأَمْـــرُ واَلتـــاَمِيرُ
بِنَصْـــرِكُمْ قَـــدْ جَـــرَى المَقْـــدُورُ
فِـــي مَـــدْحِكُمْ يـــاَ زَكِـــيَّ الأَصْـــلِ * يَـــدِي تَخُـــطُّ وَقَلْبِـــي يُمْلِـــي[1]

تابع مدحه للسلطان الزّياني حيث أشاد بشجاعته وحكمت في قيادته لجنوده نحو الانتصار على أعدائهم وتجلّى ذلك في وصفه له بالمَلك المنصور الذي بيده الأمر والتّأمير، واتّخاذه لهذه الأسباب تجعل انتصاره أمراً محتوماً، واختتم مدحه لهذا المَلك واصفا له بزكيّ الأصْل ومُعبّراً له في الوقت نفسه عن إخلاصه له في المدح لأنّه قد نَبَع مِن قلبه قبل أن يكْتبه بيده.

5. يوسف الثَّغري (... – بعد 776هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

محمّد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثّغري، أبو عبد الله.[2]

❖ لمحة عن حياته:

هو « شاعر، أديب، كاتب، من أهل تلمسان، ومن أشهر شعرائها وبلغائها المقدمين لدى سلاطينها. وصفه المازوني: بالإمام العلاّمة الأديب الأريب الكاتب،

---

[1] « أدباء وشعراء من تلمسان »: بوزياني الدراجي، ج4، ص81 وص 82.

[2] « معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر»: عادل نويهض، ص92.

ووصفه المقّري: (بالعلاّمة النّاظم النّاثر) كان من شعراء بلاط السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني، له قصائد كثيرة نقل بعضها يحيى بن خلدون في (بغية الروّاد) والمقّري في (أزهار الرّياض) وابن عمار في رحلته (نحلة الحبيب). »[1]

»[1]

❖نموذجات من خطابه الشّعري:

▪ المديح النّبوي:

ومن الشّعراء الجزائريّين الذين كتبوا في المديح النّبوي[*] يوسف الثّغري الذي كان له نصيب في مدح خير الأنام حيث قال الأبيات الآتية:

مُتَنَــزَّلُ الــوَحْيِ الــذِي يُتْلَــى فَــلاَ ** سَــمْعٌ يَمَــلُّ وَلاَ لِســاَنٌ يَسْــأم

يَتَنَــزَّلُ الــرُّوحُ الأَمِــينُ بِــهِ عَلَــى ** خَيـرِ الـوَرَى صَـلُّوا عَلَيـهِ وَسَـلِّمُوا

شَــمْسُ الرِّســاَلَةِ وَالنُبُــوَّةِ وَاَلهُــدَى ** بَــدْرُ الجَلاَلَــةِ نُورهــا المُتَجَسِّــم

---

[1] « معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر»: عادل نويهض، ص92.

[*] إنّ المولديات الزّيانية لم تك بعيدة عن الشّعر العربي القديم بل كانت جزء منه، تأثّرت به وأثّرت فيه، للتفصيل أكثر يُنظر: شعر المولديات في العهد الزّياني، أحمد موساوي، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب المغرب القديم، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعيّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2003، إشراف أ.د محمّد مرتاض، ص201.

هُــوَ رَحْمَـــةُ اللهِ التِــي يهْمِـــي بِهــاَ ** فِـي الخَلْـقِ بـالحَقِّ المُبِـينِ وَيَحْكـم

لَمـــاَ بَـــدَتْ أَنْـــوارُ مَولِـــدِهِ خَبَـــتْ ** نــاَرٌ لِفـاَرِس لَــمْ تَــزَلْ تَتَضَــرّم

وَتَضَعْضَـــعَ الإيـــوانُ مِـــن أَرْجائِـــهِ ** وَغَـــدَتْ بِـــهِ شُـــرُفاَتُهُ تَتَهَـــدّم[1]

بدأ أبياته بالحديث عن القرآن الكريم الذي ترتاح له الآذان عند سماعه ويستلذّه اللّسان عند ترتيله فلا يملّه سامع ولا يسأم منه قارئ حيث تنزّل به الرّوح الأمين جبريل عليه السلام على خير خلق الله المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) الذي وصفه بشمس الرّسالة والنبوّة والهدى وببدر الجلالة ونورها وبرحمة الله التى بعثها إلى خلقه رأفة بهم ليظهر لهم الحقّ ويقيم عليهم الحُجّة، ثمّ تطرّق لمولده (صلّى الله عليه وسلّم) الذي صاحبته مجموعة من العلامات الدالّة على عظمة شأنه إذ انطفأت نار فارس وطغى نور مولده وتهدّم لكسرى عرشه وانهارت شرفاته.

وأبدع الثّغري في مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وتصوير مولده الذي كان له تأثيرا في مكّة وأهلها فقال:

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 171.

وَتَســـاقَطَتْ أَصْـــنامُ مَكَّـــةَ رَهْبَـــةً ** والَجِـــنُّ بِالشُّـــهُبِ الثَّوَاقِـــبِ تُـــرْجَم

يـــاَ مَـــن لَـــهُ قَبْـــلَ الـــوِلاَدِ وَبَعْـــدَهُ ** آيـــاَتُ إِرْشـــاَدٍ لِمَـــن يتَوَسَّـــم

لَـكَ رَدُّ قُـرْصِ االشَّـمْسِ بَعْـدَ غُرُوبِهـاَ ** وانْشَـقَّ بَـدْرُ الأُفُـقِ وَهُـوَ مُـتَمَّم

لَـك حَـنَّ جِـذْعُ النَّخْـلِ إِذاَ فارَقْتَـهُ ** شَـوقًا كَمـاَ حَنَّـتْ عُشـاَر رُوم

لَـكَ أَنْطَـقَ الله الجَمـاَدَ وَلَـمْ يُكُـن ** لَـولاَكَ يَفْصَـحُ بِالخِطـاَبِ وَيفْهَـم

لَـكَ يـاَ رَسُـولَ الله كُـلَّ دَلاَلَـةٍ ** لَـمْ تُبْـقِ مِـن شَـكٍّ لِمَـن يَتَـوَهَّم[1]

ذكر فضائل ميلاد النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حيث تهاوت أصنام مكّة من شدّة هلعها وغُلّقت السّماء على الجنّ بالشّهب الرّواصد، ثمّ تحدّث عن معجزاته التي أيّده الله بها (صلّى الله عليه وسلّم) وهي ارتداد الشّمس بعد غروبها وانشقاق القمر واشتياق جذع النّخلة للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) عند فراقه وإنطاق الله للجمادات لتكلّم نبيّه الكريم، ويجزم ا في نهاية مقطوعته بأنّ المشكّكين في صدق نبوّته (صلّى الله عليه وسلّم) لم يبقى لهم عُذْر لشدّة إفحامه لهم.

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 172.

وتابع يوسف الثغري مدحه م للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) أكّد فضله الذي عمّ حياة النّاس بالخير والهِداية فقال في القصيدة نفسها:

أَنْـــتَ الـــرَّؤُوفُ بِأُمَّـــةٍ بَشَّـــرْتَهاَ ** يَـــومَ القِيامَـــةِ أَنَّهـــاَ بِـــكَ تُـــرْحَم

أَنْـــتَ المُرَفَّـــعُ وَالَمُشَـــفَّعُ فِـــي غَـــدٍ ** يَرْجُـــو شَـــفاَعَتَكَ المُسِـــيءُ المُجْـــرِم

أَنْـتَ المسـوغ مشـرع الحَـوضِ الـذِي ** يَـــرْوِي بِكَـــوثَرِهِ التَقِـــيّ المُسْـــلِم

أَنْـــتَ المُبَلِّـــغُ حِكْمَـــةَ الـــذِّكْرِ الـــذِي ** بَيَّنْـــتَ فِيـــهِ مـــاَ يَحِـــلُّ وَيُحَـــرَّم

أَنْـــتَ الـــذِي نَبَـــعَ الـــزُلاَلُ بِكَفِّـــهِ ** حَتَّـــى تَـــرْوِي الجَـــيشَ وَهُـــوَ عَرَمْـــرَم

أَسْـــرَيتَ لِلْسَّـــبْعِ الطِّبـــاَقِ فاَقْبَلَـــتْ ** أَمْلاَكهـــاَ طَـــرا عَلَيـــكَ تُسَـــلِّم[1]

خاطب الشّاعر الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) مؤكّدا فضله على الناس أجمعين حيث كان لهم بشيراً ونذيراً في الدنيا وسيكون لهم شفيعا في الآخرة واصفا إيّاه (صلّى الله عليه وسلّم) بالرّؤوف والمرفّع والشّفيع والمبلّغ الذي يَطْمَع المجرم المسيء في شفاعته ويرتوي التقيّ المسلم من حوضه، والذي بيّن للناس الحقّ من الباطل كما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ، ثمّ عرّج على معجزات النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) التي بدأها بمعجزة خروج الماء من يده الشّريفة ليشرب

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 172 وص 173.

جيش المسلمين حتى ارتوى الجنود كلّهم على الرّغم من كثرة عددهم ثمّ انتقل إلى معجزة الإسراء والمعراج حيث ارتقى النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) إلى السموات السّبع التي فُتّحت أبوابها من قبل الملائكة بأمر من الله عزّ وجل وذلك لاستقباله وحفّه بالسّلام.

وتحدّث عن علوّ شأن الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بين سائر المرسلين والبشر أجمعين فقال:

وَتَبَرَّكَــــتْ بِصَــــلاَتِكَ الأَرْســـاَلُ إِذْ ** صَـــلَّتْ وَأَنْـــتَ أَمامَهـــاَ المُتَقَـــدِّمُ

رُفِعَـتْ لَـكَ الحُجُـبُ العَظِيمَـةُ فـاَعْتُلِيَ ** بِــكَ لِلْعُلَــى ذَاكَ المَقــاَمُ الأَعْظَــمُ

حَتَّــى سَــمِعْتَ صَــرِيفَ أَقْــلاَمٍ بِمــاَ ** فِــي اللَّــوحِ مَحْفُوظًــا تَخُــطُّ وَتَرْسُــمُ

فِـــي حَيـــثُ لاَ مُلْـــكٌ وَلاَ فَلَـــكٌ وَلاَ ** نَجْـــمٌ وَلاَ عِلْـــمٌ هُنَاَلِـــكَ يُعْلَـــمُ

تِلْـــكَ المَراَتِـــبُ لَـــمْ يَكُـــنْ لِيَنَاَلَهـــاَ ** إِلاَّ النَبِــــيُّ الهاَشِــــمِيُّ الأَكْــــرَمُ

مـــاَذاَ عَسَـــى يُثْنِـــي عَلَيـــهِ مُقَصِّـــرٌ ** وَبِمَدْحِـــهِ نَـــزَلَ الكِتــاَبُ المُحْكَــمُ[1]

تابع ذكره لفضل الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) على سائر الرّسل حيث استحضر الصلاة التي أمّهم فيها في بيت المقدس، وأكّد علوّ مقامه واستدل

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 173.

عليه بالحجب العظيمة التي رفعها الله له (صلّى الله عليه وسلّم) وقصد بذلك وصوله إلى سدرة المنتهى، وقد وظّف ا كلمات تبيّن هذا المقام الذي وصل إليه الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) عند ربّه وهي:(اللّوح المحفوظ)، و(حيث لاَ ملك ولا فلك ولا نجم ولا علم)، وصرّح بأنّ هذا المقام العظيم لم يَكُ ليبلغه إلاّ النبيّ الهاشميّ الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم)، ثمّ أنهى أبياته باعترافه بالتّقصير في الثّناء على خير خلق الله الذي مدحه في القرآن الكريم.

وعبّر عن تعلّقه بخير ولد آدم (صلّى الله عليه وسلّم) ومدحه بأقرقّ الكلمات فقال :

ياَ خـاَتَمَ الرُّسُـلِ الكِـراَمِ وَخَيـر مَـن ** يُبْـداَ بِـهِ الـذِّكْرُ الجَمِيـلُ وَيُخْـتَمُ

مـاَلِي سِـوَى حُبِّـي إِلَيـكَ وَسِـيلَةَ ** وَنِظَـام مَـدْحٍ فِـي عُـلاَكَ يُـنْظَمُ

إِنِّـي بِجاَهِـكَ واَثِـقٌ مُتَمَسِّـكٌ ** بِـالعُرْوَة الـوُثْقَى التِـي لاَ تُفْصَـمُ

ياَ نَفْسَ صُبْحِ الشيبِ لاَحَ واَنْتَ فِي ** لَيـلِ الغِواَيَـةِ وَهُـوَ لَيـلٌ مُظْلِـم

واَللَّهْـوُ طاَرِبُـهُ غُـراَب شَـيبِبَتِي ** وَحَمـاَم شَـيبِي لِلْحَمـاَمِ يَحُـومُ

زَجْرَتُـكَ باَرِقَـةُ الهُـدَى لَـو ترعـوي ** وَنهَتـكَ واَعِظَـةُ النُّهَـى لَـو تَعْلَـمُ[1]

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 173 وص 174.

يستهلّ هذه الأبيات بمدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) واصفا إيّاه بخير مَن يُفتتح به الحديث الطيّب وينتهي، ثمّ عبّر عن شدّة حبّه للمصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) والذي لم يجد وسيلة إليه سوى بنظمٍ شعرٍ يمدحه فيه، وأكّد تمسّكه بجاه المصطفى حتّى لا يحيد عن العروة الوثقى ودلّل عليه بحالة من الصّبابة اكتنفته وجسّدها في شكل صراعٍ بين الشّباب والشّيب والصبح واللّيل والغراب والحَمام والكلمات التي وظّفها هي: (صبح الشيب) و(ليل الغواية) و(ليل مظلم) و(غراب شبيبتي) و(حمام شيبي)، واختتم مقطوعته بمدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وذلك حين جعل حديثه صوتا للهُدى وصَمته موعظة في حدّ ذاته.

ومدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) في قصيدة أخرى أنشدها بمناسبة مولده الشّريف فقال:

قَمَــــرٌ بِيَثْــــرِب أَشْــــرَقَتْ أَنْــــوارُهُ ** حَتَّــى أَضــاءَتْ أَرْضــها وَسَــماَهاَ

وَبَـدَتْ لِـرأيِ العَـينِ أَرْض الشـاَمِ مِـن ** أَرْضِ الحِجــاَزِ واَبْصَــرَتْ بصــراَهاَ

دَنَــتْ النُّجُــومُ إِلَيــهِ عِنْــدَ وِلاَدِهِ ** وَتَــوَدُّ لَــو كــاَنَ الثّــرَى مَثْواَهــاَ

كَـــمْ آيَـــةً قَبْـــلَ الـــوِلاَدِ وَبَعْـــدَهُ ** دَلَّتْـــكَ أُولاَهـــاَ عَلَـــى أُخْرَاهـــاَ

قصــرت بِــأَرْضِ الشــاَمِ قَيصَــرهاَ كَمــاَ ** كســرت بِــأَرْضِ الفُــرْسِ مــنْ كســرها

أَعْلَـــى الأَنـــاَمِ عُـــلاً واَحْلاَهُـــمْ حُلَـــى ** واَجَلَّهُـــمْ قَـــدْراً واَعْظَـــمُ جاَهـــاَ[1]

شبّه الشّاعر الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بالقمر الذي أضاء بنوره أرض يثرب وسماءها بل وأظهر في الأفق أرض الشّام مِن أرض الحجاز والكلمات التي أوردها للدلالة على هذا النور هي: (أَشْرَقَتْ) و(أَنْوَارُهُ) و(أَضاَءَتْ)، واستشهد بالآيات التي انبثقت عند مولده صلّى الله عليه وسلّم وبانتصاره على قياصرة ذلك الزمن ليبيّن عظيم شأنه حيث عبّر عن هذا المقام المبجّل بقوله: (أعلى الأنام) و(أحلاهم) و(أجلّهم قدراً) و(أعظمهم جاها)، وهذه العبارات التي وظّفها تنمّ عن مدى حبّه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وتعلّقه به.

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 189.

وتغنّى بأسماء الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ومدح حكمته في تبليغ الرّسالة وأداء الأمانة على أكمل وجهٍ كما أمره الله عزّ وجلّ فقال في القصيدة نفسها:

هُــوَ أَحْمَــد وَمُحَمَّــد والَمُجْتَبَــى ** والَمُصْـطَفَى والَمَــدْحُ لاَ يَتَنَــاَهَى

واَفَــى مِــنَ الــذِّكْرِ الحَكِـيمِ بِآيَــةٍ ** تَلَــتْ جَبِـينَ الشِّــرْكِ حِـينَ تَلاَهــاَ

والَــى جَمِيــعِ الخَلْــقِ بَلّــغْ حكمَهــاَ ** وَعَلَــى مِنَصَّــةِ الاشْــتِهاَرِ جَلاَهــاَ

والَــى سِــياَدَتِهِ العَظِيمَــةِ أومــأَتْ ** يــاَ سِــين فِيــهِ واَلطَّهــاَرَة طاَهــاَ

يــاَ مَــن تَشَــرَّفَت البَسِـيطَةُ إِذ مَشَــى ** فِيهــاَ وَداَسَ بِأَخْمَصَــيهِ ثَراَهــاَ

واَلَيــهِ حَــنَّ الجِــذْعُ عِنْــدَ فُراَقِــهِ ** واَتَــتْ لَــهُ الأَشْـجاَرُ حِـينَ دَعاَهــاَ[1]

واصل مدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) بذكر أحبّ أسمائه وهي: (أَحْمَد) و(مُحَمَّد) و(المُجْتَبَى) و(المُصْطَفَى)، ثمّ انتقل للحديث عن تعجيزه (صلّى الله عليه وسلّم) للمشركين بتلاوته لآيِ القرآن الكريم والتي بلَّغها للنّاس أجمعين مُفسّراً لهم أحكامها ومقاصدها، وفي هذا تأكيد أداء النبيّ (صلّى الله

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 190.

عليه وسلّم) للرّسالة على أكمل وجه حيث دعّم هذه الحقيقة بذكره لسورتي (يس) و(طه) ليثبت بأنّ القرآن الكرم يشهد على علوّ مقام المصطفى عند ربّه، والعبارات الدّالة على رفعة مكانته (صلّى الله عليه وسلّم) هي: (تَشَرَّفَت البَسِيطَةُ إِذ مَشَى فِيهاَ) و(إِلَيهِ حَنَّ الجِذْعُ) و(أَتَتْ لَهُ الأَشْجاَرُ)، و يبيّن بأنّ حبّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) لا يكتنفه هو وحده بل تتقاسم معه هذا الامتنان باقي الجمادات التي خلقها الله عزّ وجل وأودع فيها حبّ نبيّه الكريم.

وتغنّى بمعجزات الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

إِنْ سَبّحَتْ فِي كَفِّكَ اليُمْنَى الحَصَى ** فِيهاَ الأَناَمِلُ فَجَّرَتْ أَمْواَهاَ

إِنْ أَفْصَحَتْ لَكَ فِي الخِطاَبِ غَزاَلَةٌ ** فاَلضَبُّ أَو ذِئْبُ الفلاَ مِثْلاَهاَ

لَولاَكَ ماَ نَطَقَ الجَماَدُ وَلَمْ تَكُنْ ** بِخِطاَبِهاَ العَجْماَءُ تَفغر فاَهاَ

ياَ مَن هَدَى بِآياَتٍ آياَت الهُدَى ** مَن ضَلَّ عَن سُبُلِ الرَّشاَدِ وَتاَهاَ

لَكَ رُدَّ قُرْصُ الشَّمْسِ ياَ شَمْسَ ** لَماَ تَواَرَى بِالحِجاَبِ ضِياَهاَ[1]

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 190 وص 191.

ركّز على ذكر المعجزات التي خص الله بها محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) ومِن جملة ما وأورد منها تسبيح الحصى في كفّه الشّريفة وخروج الماء من أنامله وتكليم الحيوانات له من قبيل الغزالة والضبّ والذّئب بالإضافة إلى الجمادات، وأكّد فضْله (صلّى الله عليه وسلّم) على النّاس أجمعين بأن بلّغهم آيات الهدى التي تُميط عنهم الضلالة وتأخذ بأيديهم إلى سبيل الرّشاد، ليعود إلى الحديث عن معجزاته (صلّى الله عليه وسلّم) حيث خصّ بالذّكر رجوع قرص الشّمس بعدما تلاشت أنوارها في الأفق.

وأكّد المقام الرّفيع الذي خصّ اللهُ به الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

لَـكَ فِـي انْشِـقاَقِ البَـدْرِ أَعْظَـمُ آيَـةٍ ** لَمـــاَ تكَامَـــلَ حُسْـــنُهُ وَتَنـــاَهَى

يـاَ مَـن سَـماَ فَـوقَ السـموات العـلا ** فِـــي لَيلَـــةِ الإسْـــرَى التِـــي أَسْـــرَاهاَ

وَرَقَـــى بِســـاَطَ العِـــزِّ مُعْتَـــزّا وَلَـــمْ ** يَخْلَـــعْ بِـــــهِ نَعْـــلاً وَلاَ أَلْقاَهـــاَ

وَكَقـــاَبَ قَوسَـــينِ اقْتِرَابـــاً كـــاَنَ أَو ** أَدْنَـــى مَقاَمًـــا حِـــينَ نـــاَجَى اللهَ

فِــي حَضْــرَةِ الحَــقِّ المُقَدَّسَــةِ التِــي ** قَصــرَتْ عُقــوُلُ الخَلْــقِ عَـن مَعْناَهـاَ

أَوحَـــى إِلَيـــهِ بِهـــاَ مِـــنَ الأَسْـــراَرِ مـــاَ ** أَوحَـــى وَنَـــوَّرَ قَلْبَـــهُ فَوَعاَهـــاَ[1]

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 191.

تابع حديثه عن معجزات النبيّ الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) التي يبدأها بآية انشقاق القمر وقد عبّر عن الصورة التي كان عليها البدر عند حدوث هذا الانشقاق بقوله (تَكَامَلَ حُسْنُهُ وَتَنَاَهَى)، ثمّ استشهد بليلة الإسراء والمعراج للدّلالة على سموّ مقامه الشّريف عند الله عزّ وجل حيث كان أقرب إلى حضرته جلّ جلاله عندما قام بمناجاته (صلّى الله عليه وسلّم) والعبارات الدّالة على هذا القرب هي: (وَرَقَى بِساَطَ العِزِّ) و(كَقَاَبَ قَوسَينِ اقْتِرَاَباً) و(فِي حَضْرَةِ الحَقِّ المُقَدَّسَةِ)، وأشار إلى أنّ عقول النّاس تبقى أبعد عن استيعاب هذه الحقيقة التي فتح الله بها على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وألهمه وَعْيَهاَ بقلبه وشرح صدره ليتلقّف معانيها.

ولقد تطرّق لفضل (الرّسول صلّى الله عليه وسلّم) على أمّته في أن جاءها مبشّراً ونذيراً في الدّنيا وشفيعاً في الآخرة فقال:

أَسْــرَى وَعــاَدَ وَفَجْــرُهُ لَــمْ يَنْفَجِــرْ ** وَخطَــى الكَواَكِـب مــاَ عَـدتْ مَسْـراَهاَ

كَــمْ مُعْجِــزَاَتٌ لِلْنَبِــيِّ مُحَمَّــدٍ ** لَــمْ يَحْوِهــاَ عَــدَدٌ وَلاَ أَحْصــاَهاَ

مَـن خَصَّــهُ البــاَرِي بِمــاَ سَـماَهُ مِـن ** أَسْـماَئِهِ الحُسْـنَى فَلَـيسَ يُضــاَهَى

وَجَبَــــتْ شَــــفاَعَتُهُ لِأُمَّتِــــهِ التِــــى ** صَــــلّت الصَّــــلاَةَ عَلَيــــهِ هجيراَهــــاَ

يــــاَ خَيــــرَ مــــاَمُول شِــــكْيَة نــــاَزِحٍ ** باَنَــــتْ أَحِبَّتــــهُ وَشــــط نواَهــــاَ

راَمَ المَــــــزاَرَ فاَقْعَدَتْــــــهُ ذُنُوبُــــــهُ ** عَــن طيبــة الطيــب التِــي يَهْواَهــاَ[1]

تابع في السيّاق نفسه مادحا الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وذاكرا لمعجزاته ولفضله على أمّته ولما خصّه الله به ، حيث تحدّث عن عودة النبي الكريم مِن ليلة الإسراء والمعراج قُبَيل بزوغ فجرها وأكّد حقيقة إسراءه (صلّى الله عليه وسلّم) الذي تعدّى حدود الكواكب وأنّ معجزاته لا تُحصى ولا تقف عند حدٍّ معيّن، وانتقل إلى الكلام عن أسماء المصطفى التي اشتقّها الله من أسماه الحسنى فهذا فضل من البارئ على رسول (صلّى الله عليه وسلّم) لا يُضاهيه فيه أحد، ولقد تطرّق أيضا لشفاعة النبيّ الكريم في أمّته التي تصلّي عليه واصفا إيّاه بخير مَن يرتجيه النّاس مِن دون أحبّتهم، وعبّر عن رغبته في زيارة قبر المجتبى (صلّى الله عليه وسلّم) لولا ذنوبه التّي أثقل كاهله ونأت به عن مرامه.

- **المدح:**

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 191 وص 192.

أبدع يوسف الثّغري في مدح السلطان الزّياني (أبو حمّو موسى الثّاني) وذلك بمناسبة إنشاده لقصيدة في ليلة إحياء المولد النّبوي الشّريف فقال:

بِسَـــعْدِكَ الجارِيـــاَنِ الـــدَّهْرُ واَلقَـــدَرُ ** وَبِاسْـمِكَ الغاَلِبــاَنِ النَّصْــرُ واَلظَفَــرُ

مِـن بَعْضِ أَنْصـاَرِكَ السَّعْدُ المَكِينُ وَمِـن ** خُــداَمِكَ الماَضِــياَنِ البِـيضُ واَلسُّــمْرُ

بِيُمْنِـــكَ الفُلْـــكُ الأَعْلَـــى جَـــرَى وَعَتـــاَ ** بِجُــودِكَ الأَجْــوَداَنِ البَحْــرُ واَلمَطَــرُ

فاَنْـــتَ أَعْلَـــى مُلُـــوك الأَرْضِ قاَطِبَـــةً ** وَدُونَـــكَ النَيِّـــراَنِ الشَّـــمْسُ واَلقَمَـــرُ[1]

مدح السلطان الزّياني وهنّأه بمناسبة انتصاره على أعدائه، وقد افتتح هذه المقطوعة الشّعريّة بحديثه عن حظّه الوافر الذي جعل الدّهر والقدر والنّصر والظّفر أنصاراً له ضدّ أعدائه، ثمّ مدح خصلة الجود في هذا المَلك ويصفه بالبحر والمطر لغزارة عطائه وكرمه، وختم أبياته بوصفه له بأعلى ملوك الأرض مهابة ووقاراً لدرجة أنّ رفعته فاقت الشّمس والقمر.

- **الرثاء:**

صرّح يوسف الثّغري بحزنه الشّديد ضِمن المقطوعة الشِّعرية الآتية:

ياَ نَفْسِـي خَلِّـي الصَّبْرَ واَدْرَعِـي الأَسَـى ** واَذاَ دُعِيـــتِ فَبِالوَجِيـــبِ أَجِيبِـــي

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص259 وص 260 .

نـــاَدِي بِنـــاَدِي المَجْــدِ صَــرْخَةَ نــاَدِبٍ ** أَسَــفاً عَلَــى المَــولَى أَبِــي يَعْقُــوب

فَعَلَيــهِ يــاَ نَفْسِــي الكَئِيبَــة فاَنْــدُبِي ** وَعَلَيــهِ يــاَ كَبِــدِي القَرِيحَــة ذُوبِــي

أَسَــفاً لِمَــن فــاَقَ المُلُــوكَ جَلاَلَــةً ** وَدِياَنَــةً وَبِكُــلِّ فَضْــلٍ حُــوبِي[1]

تأسّف على فقدان السّلطان الزّياني لوالده، فهو يواسيه في مصابه الجلل معبّرا عن بالغ حزنه وأساه، ومن العبارات التي وظّفها للدّلالة على هذا الحزن: (صرخة نادب) و(نفسي الكئيبة) و(كبدي القريحة)، ثمّ أنهى أبياته بمدح خصال الفقيد الذي فاق الملوك جلالة وفضلا.

- **الغزل:**

بثّ يوسف الثّغري مشاعره الجيّاشة التي اكتنفت وجدان فقال:

سِــــرُّ المَحَبَّــــةِ بِالــــدُّمُوعِ يُتَــــرْجَمُ ** فاَلــدَّمْعُ إِنْ تَسْــأَل فَصِــيحٌ أَعْجَــمُ

واَلحــاَلُ تَنْطِــقُ عَــن لِســاَن صــاَمِتٍ ** واَلصَــبُّ يَصْــمُتُ واَلهَــوَى يَــتَكَلَّمُ

كَـمْ رُمْـتُ كِتْمـاَنَ الهَـوَى فَوَشَــى بِــهِ ** جَفْــنٌ يَــنمُّ بِكُــلِّ سِــرٍّ يُكْــتَمُ[2]

---

[1] المرجع نفسه، ص240 وص 241 .

[2] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 302 .

عبّر عن محبّته التي حاول كتمانها إلاّ أنّ دموعه وشت بسرّه، فهو يعتبر هذه الدّموع بمثابة لسان للهوى ينطق بحاله ويُترجم صبابته التي ما فتئت جفونه تصدح بها، ليكون بذلك قد رسم صورة لمعاناته التي تداخلت فيها مشاعره بين رغبته في إخفاء ما يكتنفه من محبّة وبين حاجته للبوح بهذه المحبّة حتّى يتنفّس الصّعداء.

6. التنسي (820هـ-899هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

هو محمّد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني.[1]

❖ لمحة عن حياته:

وممّا قاله ابن مريم التّلمساني في التنسي أنّه فقيه وجليل وحافظ وأديب مُطّلع كان من أكابر علماء تلمسان ومحققيها، حيث أخذ العِلْم عن أبى الفضل محمد بن مرزوق الحفيد وأبى الفضل بن الإمام وقاسم العقباني وغيرهم، وله تآليف منها: (نظم الدر والعقيان في دولة آل زيان) وتأليف في الضبط

---

[1] البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،ابن مريم التلمساني، مراجعة الشيخ ابن أبي شنب، المطبعة الثّعالبية، 1908، الجزائر، ص248.

أي في رسم الخزاز سماه(الطراز) وله (راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح) وله تعليق على ابن الحاجب الفرعي وله جواب مطول عن مسألة يهود توات وتوفي سنة 899هـ.[1]

❖نموذجات من خطابه الشّعري:

▪ **الغزل:**

أورد الشّاعر التّنسي في مطلع قصيدة خصّ بها السّلطان المتوكّل لتهنئته بعد الانتصار مقدّمة في الغزل والنّسيب حيث قال:

أَرِقْــتُ لِــدَمْعٍ مِــن جُفُــونِي يَــنْحَطُّ ** كَنَثْــرِ نَفِــيسِ الــدُّرِّ إِنْ خانَــهُ السِّــمْط

خَطاَ النّصّ وَالإِعْنـاَق فِـي أَرْضِ وَجْنَتـي ** فَخَــدَّدَ أُخْــدُوداً بِخَــدّي إِذْ يَخْطُــو

أَثَارَتْــهُ نــاَرٌ فِــي الجَــواَنِحِ سُــعِّرَتْ ** تعجّـبْ لِمُـزْنٍ حِينَ تَسْطُو لَظى يَسْطُو[2]

تحدّث في هذه الأبيات عن دموعه التي رسمت على خدّه صورة العقد الذي انقطع خيطه فراحت جواهره تتناثر، وقد وظّف هذا الوصف للدّلالة

---

[1] يُنظر:المصدر نفسه، ص 248 وص 249./ نفح الطيب، أحمد المقري، تحقيق: إحسان عبّاس، ج3، دار صادر، بيروت،1963، ص113.

[2] من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض، ص 249 وص250.

على مَعَزّة هذه الدّموع من وِجهة وللتّعبير عن نار الصبابة التي اكتنفت وجدانه من وِجهة أخرى.

ويواصل في القصيدة نفسها التّعبير عن صبابته ومعاناته فيقول:

فَطَــوراً تَرَاَنِـــي مِـــن غَـــزَارَةِ دَمْعَتِـــي ** غَرِيقًـا بِبَحْــر مــاَ يَبِــينُ بِــهِ شَـطّ

وَطَــوراَ حَرِيقًــا مِــن سَــعِيرِ جَــواَنِحِي ** فَيَبْدُو بِظَهْرِ الجِسْمِ مِن لَفْحِـهِ نَفْـط

وَيَحْتَــدُّ بِــالأَمْرَينِ سَــيفُ النّــوَى فَــلاَ ** تَــرَى بِضْــعَةً إلاَّ وَفِيهــاَ لَــهُ قَــطّ[1]

وجد نفسه غريقا ببحر دموعه من شدّة الحزن والأسى على حاله وفي الوقت نفسه التهب بسعير الاشتياق الذي لفح بألسنته وجدانه وجسمه معاً، ويتجلّى من اعتماده على هذه الثّنائية المتضادّة بين الماء والنّار أنّه حبيس خيارين أحلاهما مرّ، فإمّا أنّه يكشف عن معاناته بذرف الدّموع التي من شأنها تخفيف ألمه، أو أنّه يكتم حزنه وينكوي بناره في صمت حتّى يحافظ على رباطة جأشه وفي كلتا الحالتين عليه أن يفصل في أمره بالحكمة التي وصفها بالسّيف المحتدّ بين الأمرين.

- **المدح:**

[1] من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض، ص 249 وص250.

خصّ الشّاعر التنسي السّلطان المتوكّل بالمدح والتّهنئة بعد انتصاره على أعدائه فقال:

أَنَفْسِــي دَعِــي لَحْــيَ الزَّمــاَنِ وَعِتْبَــه ** فَــلاَ قَلْــب إلاَّ فِيــهِ مــن صَــرْفه وخــط

وَحُثِّـي السُّـرَى دابَـاً إِلَـى خَيـرِ نَاصِـر ** وأَعْظَـم سُـلْطَانٍ إِلَيــهِ الخُطَــى تَخْطُــو

عَنَيــت أَمِيــرَ المُــؤْمِنِينَ مُحَمَّـــدا ** سَلِيلُ اسْمِهِ مِن شأَنِهِ البَذْل واَلبَسْط[1]

حَثَّ نفسه على النأي بعيداً عن لوم الزّمان وما يحمله من صعوبات وعوضاً عن ذلك يدعوها إلى التقرّب من المَلِك المتوكّل الذي يصفه بخير ناصر وأعظم سلطان وبأمير المؤمنين الذي يعدّه جواداً في بذله وكريماً في بسطه والغرض من ذلك هو تحفيز أريحيّته للعطاء.

وتابع مَدْحَه للمتوكّل في القصيدة نفسها فقال:

وَمَـن لَـمْ يَـزَلْ مُلْـكُ الـوَرَى متشـوّفا ** إِلَيــهِ لِكَــي يَحْيــاَ وَيَعْتــاده الحــوط

وَمَـن أَشْـرَقَتْ مِـن نُـورِهِ الأَرْضُ كُلّهـاَ ** وَكُــلّ مَلِيــكٍ نُــورُهُ إِنْ يَلُــحْ سَــقْط

وَمَـن تَرْهَـبُ الأَمْـلاَكُ صَـولَةَ باَسِـهِ ** فَتَخْطـبُ مِنــهُ الـودَّ خِشْـيَةَ أَنْ يَسْـطُو[2]

---

[1] « من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة – »: محمّد مرتاض، ص259.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مدح الشّاعر السّلطان المتوكّل بذكر خصاله المتمثّلة في كرمه وسخائه على من يقصده من رعيّته، وفي سيرته الطّيبة التي أشرقت ضياؤها الأرض بلا منازع من سائر المُلوك التي تهاب بأسه وتحترم وقاره وتتاشد ودّه وصداقته.

7. شهاب الدين بن الخلوف القسنطيني (829هـ-859هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

هو شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن أبي القاسم محمّد بن عبد الرّحمن بن الخلوف الحميريّ.[1]

❖ لمحة عن حياته:

ولد شهاب الدين بمدينة قسنطينة في الثّالث من محرّم من سنة 829هـ ، وزار رفقة والده مكّة وبيت المقدس، ومكث بالمشرق بضع سنين حيث اتّصل بأبي القاسم النّووي ولازمه فأخذ عنه الفقه وعلوم اللّغة والأصول، وأخذ عن الشّهاب بن رسلان علوم القرآن وروايته وقراءته، واجتمع في مصر بالعزّ بن عبد السّلام

[1] الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب: محمّد مرتاض، ج2، ص660.

البغدادي وأخذ عنه النّحو والصّرف والمنطق، وتُوُفّي بتونس ودفن فيها في سنة 899هـ.[1]

ومن الآثار التي خلّفها ابن الخلوف القسنطيني المؤلّفات الآتية:

- جني الجنّتين في مدح خير الفرقتين (في مدح الحضرة النّبويّة).
- تحرير الميزان لتصحيح الأوزان (في فنّ العروض).
- مواهب البديع في علم البديع (وله عليها شرح حسن).
- جامع الأقوال في صيغ الأفعال (أرجوزة).
- عمدة الفائض في علم الفرائض.[2]

❖نموذجات من خطابه الشّعري:

▪ المديح النبوي:

مدح شهاب الدّين الرّسولَ (صلّى الله عليه وسلّم) بمناسبة إحياء ليلة مولده الشّريفة فقال:

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب: محمّد مرتاض، ج2، ص660 وص661.

وَلاَ حاجَــةَ فِــي الــنَّفْسِ إلاَّ امْتِــداَحِهاَ ** أَبــاَ القاَسِــم الهــاَدِي النَبِــي المُعَظّمــا

بَشِــيراً نَــذِيراً صــاَدِق لِلْقَــولِ مُرْسَــلا ** حَبِيبــاً خَلِــيلا، هاَشِــمِيّا مُقــدما

قفِيــا فَقِيــا أَبْطَحِيــا مُــبَجَّلاً ** سِــرَاجًا مُنِيــرا، زَمْزَمِيــاً مُكَرَّمــا

نَبِــيٌّ أَضــاَ قَبْــلَ العَــواَلِمِ نُــورُهُ ** وَلَــولاَ سـناَهُ لَاغْتَـدَى الكَـونُ مُظْلِمـا

نَبِــيٌّ تَــرَدَّى المَجْــدَ واَلبــاَسَ حُلَّــةً ** مَفُوفَــةً فِيهــاَ الكَمــاَلُ تَجَسَّــما[1]

عبّر عن حبّه لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بعد أن شَعر برغبة شديدة في مدحه حيث وصفه بالبشير والنّذير والصّادق والسّراج المنير والغرض من توظيف هذه الخصال الشّريفة هو تأكيده أنّ الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) هو أهل للرّسالة التي كلّفه الله بها وأنّه قد بلّغها على أكمل وجه، وذكّر في الوقت نفسه بفضله (صلّى الله عليه وسّلم) على العالمين حيث وصفه بالنّور الذي أضاء الكون وأخرج النّاس من ظلمات الضّلال إلى نور الهداية.

- **الزهد:**

عبّر الشّاعر شهاب الدّين عن رجائه في نيل رحمة الله عزّ وجلّ وشفاعة نبيّه الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

---

[1] دراسات في الأدب المغربي القديم،عبد الله حمادي، ط1 ، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة– الجزائر،1986 ، ص 192.

أَيـــاَ غَــوثَ الفَقِيـــرِ أَجِـــبْ فــاَنِّي ** دَعَوتُــــكَ بِافْتِقـــاَر يــــاَ كَــــرِيمُ

وَلاَ تَــــدَعِ السُّـــعاَلَ يَهُـــدُّ جِسْـــمِي ** وَكَيــــفَ واَنْــــتَ رَحْمــــاَنٌ رَحِـــيمُ

فَعَجِّـــلْ بِالشِّـــفاَءِ وَجُـــدْ وَســـاَمِحْ ** فاَنْــــتَ القـــاَدِر البِـــرُّ الحَلِـــيمُ

وَمُـــنَّ بِمـــاَ أُرجَّــى مِنــكَ فَضْــلاً ** فاَنَّـــكَ بِالـــذِي أَرْجُـــو عَلِـــيمُ

ســاَلْتُكَ بِالشَّــفِيعِ وَكَيــفَ أُخْــزَى ** وَمُعْتَمَـــدِي حَبِيبُـــكَ يـــاَ حَلِـــيمُ

وَحاَشـــاَ أَنْ أُضــاَمَ وَقَـــدْ أَواَنِـــي ** بِمَـــدْحِ المُصْـــطَفَى كَهْـــفٌ رَقِـــيمُ[1]

ناجي ربّه ووصف نفسه بالفقير الذي يرجو من الله عزّ وجلّ أن يُخفّف عنه محنته ويشفيه من مرضه وأن يجود عليه برحمته ويغفر له ذنوبه، وقد وظّف في مناجاته أسماء الله الحسنى الآتية: الكريم والرّحمان الرّحيم والقادر والبرّ الحليم والعليم وقد وُفِّق في انتقائه لها لأنّها تتلاءم مع رجائه، واتّخذ مدحه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وسيلة ليتقرّب بها إلى ربّه من أجل تحقيق الاستجابة حيث وصفه بالشّفيع والحبيب والمصطفى.

- **المدح:**

أثنى شهاب الدّين على أبي عمرو عثمان الحفصي حيث ركّز على ذكر خصاله ومكارم أخلاقه فقال:

[1] الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب، محمّد مرتاض، ج1، ص72.

سَـاَسَ الخِلاَفَـةَ بِالمَكـاَرِمِ واَلحِجَـى ** إِذْ لَـمْ يَسُسْـهاَ مِثْلَـهُ الخُلَفـاَءُ

تَعْلُـو السَّـماَءَ ثَلاَثَـةٌ مِـن أَرْضِـهِ ** الفَضْـلُ واَلإفْضـاَلُ واَلنَّعْمـاَءُ

وَثَلاَثَـةٌ تَغْشـاَكَ أَنَّـى زُرْتَـهُ ** البِـرُّ واَلأَرْفـاَدُ واَلسَّـراَءُ

وَثَلاَثَـةٌ قَـدْ جُنِّبَـتْ أَخْلاَقَـهُ ** الخُلْـفُ واَلآثَـامُ واَلشَّـحْناَءُ[1]

مدح الشّاعر الملك الحفصي بالتّغنّي بحسن إدارته لشؤون مُلكه بفضل خصاله الحميدة ورجاحة عقله، وقد أورد هذه الخصال في شكل قصيدة يتضمّن كلّ بيت منها ثلاث فضائل، حيث تدلّ الثّلاثية الأولى على علوّ شأن هذا الملك وتؤكّد الثّلاثية الثّانية كرمه وجوده، وتركّز الثلاثية الثّالثة على نُبل أخلاقه ورقيّها.

8. الحوضي (ت 910 هـ):

❖ اسمه ولقبه وكنيته:

محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي، التلمساني، أبو عبد الله.[2]

❖ لمحة عن حياته:

---

[1] الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب: محمّد مرتاض، ج2، ص846.

[2] معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر،عادل نويهض، ص129.

هو « ناظم، أصولي، من كبار فقهاء المالكية، ولد ونشأ بتلمسان، وأخذ عن أشياخها. من آثاره (نظم في العقائد شرحه الإمام محمّد بن يوسف السنوسي. ذكره الونشريسي في وفياته وقال: مات بتلمسان. »[1]

❖نموذجات من خطابه الشّعري:

- **المدح:**

مدَح الشّاعر الحوضي سلطان تلمسان أبا عبد الله المتوكل الزياني فقال:

أَصْبَحَ المُـزْنُ مِـن عَطائِـكَ يَحْكِـي ** يَـــومَ الاثْنَـــينِ لِلأَنـــاَمِ عَطـــاَءَ

كَيــفَ يُــدْعَى لَــكَ الغَمــاَمُ شَــبِيهًا ** وَلَقَـــدْ فُقْتَـــهُ سَـــناً وَسَـــناَءَ

أَنْـــتَ تُعْطِـــي إِذاَ تُقَصِّـــرُ مــاَلاً ** وَهْـــوَ يُعْطِـــي إِذاَ تَطَـــوَّلَ مــاَءَ[2]

تغنّى بسخاء السلطان الزياني المتوكّل ووصف جوده بغزارة المزن الذي سقى بمياهه كلّ ربع بلغته غيومه، بل وزاد عن ذلك حين جعل السلطان الزيان يفوق هذه الغيوم من حيث الارتفاع وذلك للدلالة على علوّ شأنه بين مُلوك

---

[1] المرجع نفسه، ص129.

[2] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 535 .

الأرض، فالغيوم مهما بلغت من العلوّ تعطي ماءً والسلطان المتوكّل حين يُقصّر يبذل مالاً والغرض من هذه المقارنة هو مدح خصلة العطاء لدى هذا السلطان.

- **الرّثاء:**

تأسّف الشّاعر لموت إمامَ الموحّدين الشّهير الوليّ الكبير سيدي محمّد بن يوسف السنوسي الحسني فقال:

فقـــد السَّنُوسِـــي الإمـــاَمُ مُحَمَّـــد ** وَهُـوَ بْـنُ يُوسُـف هـد مِنـهُ عَلاَؤُهـاَ

قَـــدْ كـــاَنَ بَحْـــراً لِلْمَعـــاَرِفِ زاَخِـــراً ** فـاَنْزاَحَ عَنهـاَ حِـينَ بُـثّ غِطاَؤُهـاَ

وَدَعَـى إِلَـى التَّوحِيـدِ دَعْـوَة مُخْلِـصٍ ** واَلَـى الشَّـرِيعَةِ فاَسْـتَناَرَ ضِـياَؤُهاَ[1]

تحدّث عن حزنه لموت الإمام السّنوسي محمّد بن يوسف وبيّن قيمته بين العلماء حيث وصفه بالبحر الزّاخر في علمه وبالمخلص في تبليغ الشّريعة ودعوته للنّاس للثّبات على دين التّوحيد بالتّفقّه فيه والعمل به، وقد ذَكَر هذه الخصال التي تميّز بها مرثيّه للدّلالة على الفاجعة التي أصابت الأمّة كلّها بفقدانها لهذا الإمام.

وعبّر عن تجرّعه مرارة الفراق وتقبُّله للمصاب الجَلَل فيقول:

[1] « تعريف الخلف برجال السلف »: أبو القاسم محمد الحفناوي، ج2، ص397.

لَكِــنَّ مَشِــيئَةَ رَبِّنــاَ تَجْــرِي كَمــاَ ** سَــبَقَ القَضــاَءِ فَــلاَ يُــرَدُّ قَضــاَؤُهاَ

لهفــاً ولهفــاً دائِمــا لَــو أَنَّهــاَ ** تجْـدِي وَمــاَ تُغْنِــي وَكْيـفَ غِناَؤُهـاَ[1]

لقد أبان في هذين البيتين عن بقضاء الله وقدره الذي لا مفرّ منه، فهو يخضع لمشيئته عزّ وجلّ، والغرض من هذا التّصريح هو تهدئة النّفوس الحزينة بتذكيرها بسنّة الله في خلقه.

ونفّس عن معاناته ضِمن المقطوعة الشعريّة الآتية:

أَنْ تَبْكِــهِ عَــينٌ فَمــاَ أَدَّتْ لَــهُ ** حَقًّــا وَلَــو مَــزَجَ الــدُّمُوعَ دِماَؤُهــاَ

أَو تَبْكِــهِ أَبَــداً تِلِمْســاَنُ وَمِــن ** فِــي حَوزِهــاَ وَرِجاَلُهــاَ وَنِســاَؤُهاَ

لَــمْ يقــدِرُو مِقْــدارَهُ أَنَّــى لَهُــمْ ** وَلَقَــدْ بَكَتْــهُ أَرْضُــهاَ وَسَــماَؤُهاَ[2]

هي أبيات تعبّر عن خزنه الشّديد الذي لا تشفي غليله دموع العين ولو امتزجت بالدّماء، ولا تجزيه حقّه دموع أهل تلمسان وحوزها ولو حزن عليه النّاس رجالاً ونساءً، فهيهات أن يقدروا على ذلك وقد بكت عليه أرض تلمسان وسماؤها.

وواسى الشّاعر نفسه وأقرباء المَرثيّ في أبيات الشِّعر الآتية:

---

[1] المصدر نفسه، ص398.

[2] « تعريف الخلف برجال السلف »: أبو القاسم محمد الحفناوي، ج2، ص398.

يــاَ قَلْــبُ صَــبْراً فالَمَصــاَئِبُ كُلّهــاَ ** إِنْ تَلْقَهـــاَ بِالصَّـــبْرِ خَـــفَّ بَلاَؤُهـــاَ

يـــاَ رَبِّ قَـــدِّسْ رُوحَـــهُ وَضَـــرِيحَهُ ** وَمِـــنَ الجِنـــاَنِ تَحُفُّـــهُ نَعْماَؤُهـــاَ[1]

أعرب في هذين البيتين عن المعاناة التي ألمّت به وبأهل الفقيد وأحبّائه ودعا النّفوس لتتغلّب على مرارة حزنها بالصّبر، واختتم رثاءه بدعائه للإمام السّنوسي برحمة الله التي تدخله جنان الخلد.

كانت هذه نظرة على بعض نصوص الشّعر الجزائريّ القديم التي ألّفها أبرز أعلام الجزائر في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ وصولاً إلى القرن العاشر الهجريّ، حيث أبدع هؤلاء الشّعراء في صنوف الشّعر المختلفة ممّا يدلّ على قوّة المَلكة الشّعرية* لديهم والتي ساعدتهم على مسايرة قضايا عصرهم المختلفة بل وتوثيق صورها وأخباره، فهم بحقّ قد أفادوا الجزائر بجهودهم الشّعرية من حيث إثراء ثقافتها وكتابة تاريخها الحضاريّ من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ.

---

[1] المصدر نفسه، ص399.

* لقد عبّر الشّعراء الجزائريّون عن مواقفهم من الحياة وعن تجاربهم النّفسية بلغة بعيدة عن التّعقيد تدلّ على فصاحتهم وذلاقة لسانهم، للتفصيل أكثر يُنظر: الأدب الجزائري القديم من مطلع ق 2هـ إلى نهاية ق 5هـ، أمينة بن عدّيس، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب المغربي القديم، كليّة الآداب العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2014، إشراف أ.د محمّد مرتاض، ص 227.

الفصل الثّالث: أثر الشّعر الجزائريّ القديم على الجوانب الحضاريّة في المغرب الإسلاميّ

- الشّعر الجزئريّ القديم واتّصاله بثقافة المغرب الإسلاميّ.

1. الأعياد والمناسبات الدّينية.
2. المدن ووصف نمط الحياة السائدة فيها.
3. المعارك ومراسيم التّحضير لها.

- **الشِّعر الجزائريّ القديم واتّصاله بثقافة المغرب الإسلاميّ:**

إنّ تأثُّر الشِّعر الجزائريّ القديم بالحضارة في المغرب الإسلاميّ وتأْثيره في ثقافتها في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ تتجلّى صوره في النّصوص الشِّعريّة التي تحمل في ثناياها جوهر التّلاقح بينهما، وقد وقع الاختيار على نموذجات الشِّعر التي لها صلات محدّدة بالثّقافة في المغرب الإسلاميّ من حيث الأعياد والمناسبات الدّينية، ومدح المدن ووصف نمط الحياة السائدة فيها، ووصف المعارك ومراسيم التّحضير لها.

وسيتمحور هذا الفصل التطبيقيّ حول بيان علاقة التّفاعل بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ من خلال الاستعانة بالنّتيجة المتوصّل إليها في مدخل هذه الرّسالة والذي ضُبطت فيه العلاقة بين الأدب والحضارة بعامّة مِن أجل الإجابة على التّساؤل الذي طُرح في إشكاليّة مقدّمة البحث.

1. الأعياد والمناسبات الدّينية:

إنّ شعر المناسبات الدّينيّة في عهد الدّولة الزّيانية* كان حافلاً بالقصائد التي تتافس فيها الشّعراء، ولا سيما في مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم)؛ وفي هذا المعنى أنشد يحيى بن خلدون قصيدة بمناسبة الاحتفال بليلة المولد النّبوي الشّريف في بلاط الملك الزياني (أبو حمّو موسى الثّاني) حيث قال بمناسبة مرور السّاعة الأولى من (المجانة):

أَمَــولَى المُلُــوكِ وأَعلــى الأُمَــم ** و مــن جــود العــاَلَمَ الكــل عَــمْ

مَضَـتْ سـاَعَةٌ لَيـتَ لَيـتَ لَـو تثنـي ** فــإن الحَيــاَةَ بِكُــم تُغْتَــنَم

ولِلَّــهِ وَجْهُــكَ لَمــاَ بَــداَ ** وَقَـدْ خلبـه البَـدْر فِـي الأُفُـقِ تَـمْ

عَلَيــهِ لأجْــلِ التُقَــى هَيبــة ** وَفِيــهِ مِــنَ الفَضْــلِ بشــر الكَــرَمْ[1]

تحدّث الشّاعر على لسان جارية السّاعة المسمّاة بالمجانة مادحاً المَلِك الزياني ومُعْلِماً إيّاه بمرور ساعة من ليلة مولده (صلّى الله عليه وسلّم)، وفي البيتين الثّالث والرّابع يتجلّى تأثّر الشّاعر بثقافة المغرب الإسلاميّ

---

* سمّاها السّلطان أبو حمو موسى الثاني باسم الدولة الزّيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن، حيث عُرفت قبل ذلك بدولة بني عبد الواد، للتّفصيل أكثر يُنظر: الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954:عثمان سعدي،ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص333.

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،يحي بن خلدون، ج2، ص414

من حيث الرّبط بين مدح المَلِك الزّياني بوصف وجهه بالبدر وبين تقوى المَلِك ووَرَعِه اللّذين أثمرا نوراً على وجهه كنور هذا البدر مِن وِجهة، وتأثير الشّاعر في هذه الثّقافة بتشجيعه للنّاس على التحلّي بهذه الخصلة مِن وِجهة أخرى.

وعبّر عن حبّه للرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

أَقَمْــــتُ بِمَولِـــدِ خَيـــرِ الـــوَرَى ** سُـــرُوراً لكـــم بالمَعـــاَلِي حَكَـــمْ

طَوَيــــتَ الفُـــؤَادَ عَلَـــى حُبِّـــهِ ** فَفِعْلُـــكَ هَـــذاَ عَلَـــى ذاَكَ تَـــمْ

فَنِلْـــتَ السَّـــعاَدَةَ دُنْيـــاَ وأَخْـــرَى ** وَحُـــزْتَ المَفـــاَخِرَ دُونَ الأُمَـــمْ

فَـــدُمْ مـــاَ حَيِيـــتَ لَنـــاَ مَلِكًـــا ** تُطِيعُـــكَ عُـــرْبُ الـــوَرَى واَلعَجَـــمْ[1]

واصل احتفاءه بليلة مولده (صلّى الله عليه وسلّم) في ساعتها الأولى، وفي الأبيات الثّلاثة الأولى من هذه المقطوعة الشِّعريّة يظهر تأثير الشِّعر الجزائريّ القديم في الحضارة في المغرب الإسلاميّ حيث ركّز الشّاعر على بيان فضل مولده (صلّى الله عليه وسلّم) على النّاس بجلب السّرور لهم، فبحبّه تُنال السّعادة في الدّنيا والمعالي في الآخرة، فالشّاعر هنا قد تأثّر باحتفال المَلِك الزّياني بالمولد النبويّ الذي يُعدّ من أوجه الحضارة في المغرب الإسلاميّ، وفي الوقت

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ج2، ص414

نفسه قد أسهم في إثراء ثقافة هذا الاحتفال بل وتوطينه في عقول النّاس وتوثيقه من النّاحية التّاريخيّة.

السّاعة الثانية:

ويتابع الشّاعر المدح النبويّ مَمْزوجاً بمدح السّلطان (أبو حمّو موسى الثّاني) فيقول:

أَخَلِيفَـــةَ الـــرَّحْمَن والمُلْـــكَ الـــذِي ** تَعْنُـــوا لعـــزّ عُـــلاَهُ أَمْـــلاَكُ البَشَـــرْ

لِلَّـــهِ مَجْلِسُـــكَ الـــذِي يَحْكِـــي عُـــلاً ** بِـــكَ مـــاَلِكِي أُفُـــقَ السَّـــماَء لِمَـــن نَظَـــرْ

أَوَ مـــاَ تَـــرَى فِيـــهِ النُّجُـــومَ زَواَهِـــراً ** وَجْـــهُ الخَلِيفَـــةِ بَيـــنَهُنَّ هُـــوَ القَمَـــرْ

واَللَّيـــلُ مِنـــهُ ســـاَعَتاَنِ قَـــدْ انْقَضَـــتْ ** تُثْنِـــي عَلَيـــكَ ثَنـــاَ الرِّيـــاَضِ عَلَـــى المَطَـــرْ

لاَزاَلَ هَـــذاَ المُلْـــكُ مَنصُـــوراً بِكُـــمْ ** وَبَلَغْـــتَ ممّـــا تَرْتَجِـــي أَسْـــنَى الـــوَطَرْ[1]

وصف يحيى بن خلدون المَلِك الزّياني على لسان جارية السّاعة بخليفة الرّحمن وهنا يظهر جليّا بأنّ الشّعر الجزائريّ القديم هو أدب حضارة لأنّ الشّاعر بهذا الوصف قد وجّه رسالة حقيقية للمَلَك الزّياني ورعيّته مفادها أنّ الهدف

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون ،ج2، ص415

من الحياة هو تجسيد سنّة خلافة الله في أرضه والتي تستوجب اتّباع كتاب الله وسنّته فهما جوهر هذه الخلافة ومنبع البناء الحضاريّ الذي ترومه الأمّة.

السّاعة الثالثة:

وجدّد مَدْحه لأبي حمّو موسى الثّاني في مقطوعة شِعريّة أخرى فقال:

أَمَــولاَيَ يــاَ ابْــن المُلُــوكِ الأُولَــى ** لَهُــمْ فِــي المَعــاَلِي سَــنِيُّ الرُّتَــبْ

تَوَلَّــتْ ثَــلاَثٌ مِــنَ اللَّيــلِ أَبْــ ** قَــتْ لَــكَ الفَخْــرَ فِــي عُجْمهَــا والعَـرَبْ

فَــدُمْ حُجَّــةَ اللَّــهِ فِــي أرْضِــهِ ** تَنَــاَلُ الـــذِي شِــئْتَهُ مِــن أَرَبْ[1]

أخبر الشّاعر المَلِك الزّياني بانقضاء ثلاث ساعات من ليلة مولده (صلّى الله عليه وسلّم) متمنّيا له رفعة الشّأن بين العرب والعجم؛ وهنا تبرز علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ لأنّ الشّاعر قد وسّع سلطة المَلِك وتأثيرها من المحيط العربيّ إلى المحيط الأعجميّ وهذا ما يتوافق مع التركيبة البشريّة للمغرب الإسلاميّ التي انبثقت عن التّمازج الحضاريّ بين الشّرق والغرب، بل ويحثّ الشّاعرُ الملكَ على الالتزام بأداء الرّسالة الحضارية الإسلاميّة وذلك حين دعاه لأن يكون حجّة الله في أرضه.

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ج2، ص 415 وص 416

السّاعة الخامسة:

ويخاطب الشّاعر أبا حمّو موسى الثّاني بأجمل العبارات قائلاً:

يـــــاَ أَمِيــــــرَ المُســـــلِمِناَ ** وَجَمـــــــــاَلَ العاَلَمِينـــــــــاَ

واَلــــــذِي حَــــــازَ المَعــــــاَلِي ** كُلّهَـــــا دُنْيـــــاَ وَدِينـــــــاَ

قَـــــدْ مَضَـــــتْ لِلّيـــــلِ خَمْـــــسٌ ** حُسْــــــــــنُهَا راَقَ العُيُونـــــــاَ

واَنْقَضَـــــــى النِّصْـــــفُ فـــــآه ** هَكَـــــذا تَمْضِـــــي السّـــــنُوناَ

دُمْـــــتَ فِـــــي عِـــــزٍّ وَسَـــــعْدٍ ** خاَلِـــــدَ المُلْـــــكِ مَكِينـــــاَ[1]

خاطب الشّاعر المَلِك الزّياني واصفاً إيّاه بأمير المؤمنين الذي نال المعالي في الدّين والدّنيا وهنا تتّضح جليّا علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ لأنّ الشّاعر قد زاوج بين تمكّن المَلِك من مفاخر الدّنيا وحيازتها بفضل سلطانه وبين نصرته للدّين وذَودِهِ عنه بدافع التّقوى، وهذه الثّنائيّة تعدّ جوهراً للبناء الحضاريّ الذي عَرَف طريقه إلى ضفّتي الحوض المتوسّط بفضل الفتوح الإسلاميّة، وتوظيف الشّاعر لهذا الجوهر ما هو إلاّ دليل على أنّ الشّعر الجزائريّ القديم هو أدبٌ يحمل بذور الحضارة.

---

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون، ،ج2،ص 416 وص417

السّاعة التاسعة:

ووجّه نصحه للسلطان الزّياني مُتمنّيا له دوام العزّة والملك في قوله:

يـاَ أوحَـدَ النـاَس فِـي مَجْـدٍ وَفِـي شَـرَفٍ ** وَاَفْضَـلَ الخَلْـقِ فِـي بـاَسٍ وَفِـي كَـرَمِ

مَـولاَيَ تاَسِـعةُ السـاَعاَتِ قَـدْ ذَهَبَـتْ ** وَاَللَّيـلُ مِـن بَعْـدِهَا قَـدْ عـاَدَ ذاَ هَـرَمِ

كَـذاَ يَمُـرُّ وَلاَ نَـدْرِي الزَّمـاَن بِنـاَ ** وَيَنْقَضِـي العُمْـرُ فِـي اللَّـذاَتِ وَاَلنَـدَمِي

مَـن كُـلّ ذاَ عَمَـلٍ فِـي البِـرِّ مِـثْلكُم ** يـاَ فَـوزَهُ يَـومَ تُخْشَـى زَلَّـةُ القَـدَمِ

لاَ زِلْـتَ ذاَ عِـزَّةٍ وَ المُلْـكُ ذاَ شَـرَفٍ ** بِكُـمْ واَنْـتُمْ مَـدَى الأيـاَمِ فِـي نِعَـمِ[1]

مدح الشّاعر المَلِك الزّياني وأعلمه بانقضاء تسعٍ من ساعات ليلة مولد الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ونبّهه في الوقت نفسه إلى تجنّب الانغماس في الدّنيا والانخداع بلذّاتها لأنّها فانية، ودعاه إلى الاستغراق في الأعمال الصّالحة لأنّها السّبيل إلى النّجاة يوم القيامة الذي لا ينفع فيه النّدم، واستبشر بمَمْدوحِه خيراً حينما أحسن فيه الظنّ بأنّه أهلٌ للبرّ والتّقوى ودعا له بدوام العزّ وشرف المُلْك والنِّعَم، وبفضل هذه النّصائح التي بثّها في أبياته يكون قد أدّى

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ج2، ص419

رسالة حضاريّة تُثبت بأنّ الشّاعر الجزائريّ القديم قد تأثّر بالحضارة في المغرب الإسلاميّ وأنّه قد أسهم في بناء وعي أمّته وإثراء ثقافتها.

السّاعة العاشرة:

واختتم ليلة الاحتفال بالمولد النّبويّ الشّريف فقال:

يـاَ ماَلِـكَ الخَيـرِ واَلخَيـلِ التِـي حَكَمَـتْ ** لَـــهُ بِعِـــزٍّ عَلَـــى الأَيـــاَمِ مُقْتَبِـــلِ

هَـــذاَ الصَّـــباَح لَقَـــدْ لاَحَـــتْ بَشـــاَئِرُه ** وَ اللَّيـــلُ وَدَّعَنـــاَ تَودِيـــعَ مُرْتَحِـــلِ

لِلَّـــــهِ مِـــــنَ الســـــاَعاَتِ بـــــاَهرةٌ ** مَضِـينَ لاَ عَـن قلـى مِنـاَ وَلاَ ملـلِ

كَـــذاَ تَمُـــرُّ لَيـــاَلِي العُمْـــرِ راَحِلَـــةً ** عَنـاَ وَنَحْـنُ مِـنَ الآمـاَلِ فِـي شُـغُلِ

نُمْسِـي ونُصْـبِحُ فِـي لَهْـوٍ نُسَـرُّ بِـهِ ** جَهْـلاً وَذَلِـكَ يُـدْنِيناَ مِـنَ الأجَـلِ

وَالعُمْـرُ يَمْضِـي وَلاَ نَـدْرِي فَـواَ أَسَـفًا ** عَلَيـهِ إِذْ مَـرَّ فِـي الآثَـاَمِ واَلزَّلَـلِ[1]

ودّع الشّاعر ليلة مولده (صلّى الله عليه وسلّم) في ساعتها العاشرة وكلّه أسف على انقضائها فهي ليلة لا تملّ الأنفس من إحيائها، وفي الوقت نفسه أسدى النّصيحة للمَلِك وللنّاس أجمع مفادها أنّ ليالي العمر كلّها تنقضي لِيَدْنُوَ كلّ واحد من أجله، فمن شغلته الآمال عن دينه وانغمس في اللّهو والآثام

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون ،ج2،ص 419 وص420

فليأسف على نفسه ويتدارك ما فاته قبل أن يدركه الموت ويصبح نادماً يوم لا ينفع النّدم، وفي هذا توجيه حضاريّ يستكمل ما بدأته الرّسالة المحمّديّة التي كانت مرتكزاً لقيام الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي تأثّر بها الشّاعر الجزائريّ ثمّ انبرى ليسهم في حثّ الأمّة على الالتزام بقيمها ليكون بذلك قد أدّى مهمّة بناء الوعي الحضاريّ لدى أفراد مجتمعه والذي يؤكّد مرّة أخرى أنّ الشّعر الجزائريّ القديم هو أدب حضارة.

ويُناجي الشّاعر الله عزّ وجلّ ليغفر له ذنوبه داعيا لأبي حمو بالخير فيقول:

ياَ لَيتَ شِعْرِي غَداً كَيفَ الخَلاَصُ بِهِ ** وَلَمْ نُقَدِّمْ لَهُ شَيئاً مِنَ العَمَلِ

ياَ رَبِّ عَفْوَكَ عَماَ قَدْ جَنَتْهُ يَدِي ** فَلَيسَ لِي بِجَزَاءِ الذَّنْبِ مِن قِبَلِ

ياَ رَبِّ وانْصُرْ أَمِيرَ المُسْلِمِينَ أَباَ ** حَمُّو الرِّضَى وانِلْهُ غايَةَ الأَمَلِ

وأبقِ فِي العِزِّ والتَّمْكِينِ مدَّتَهُ ** واَعْلِ دَولَتَهُ الغَراَءِ فِي الدُّوَلِ[1]

أنهى السّاعة العاشرة من ليلة مولد النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بطلب العفو من الله عزّ وجلّ على ذنوبه والدّعاء لانتصار المَلِك الزّياني ودوام عزّ سلطانه والتّمكين لدولته بين الدّول، وبهذا يكون قد أسدل السّتار على مناسبة

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ج2،ص 419 وص420

الاحتفاء بليلة مولده (صلّى الله عليه وسلّم) واضعاً إحدى لبنات الشّعر الجزائريّ القديم الذي وثّق لهذه المناسبة وأسهم في استكمال دورة الحضارة العربيّة الإسلاميّة في البحر المتوسّط بإثرائه لثقافتها.

- مفاضلة بين السيف والقلم ليحيى بن خلدون:

عقد الشّاعر يحيى بن خلدون مقارنة جميلة بين السّيف والقلم فقال:

بَــينَ اليَــراَعِ وَمُرْهــفِ الأَسْــياَفِ ** نَســبٌ حَمَتْــهُ شَــرِيعَةُ الإنْصــاَفِ

خلــق وكــفّ الملــكِ آدم نوعــهِ ** وَالَنَّــوعُ مُنْقَسِــمٌ إِلَــى الأَصْــناَفِ

أولا فصــنْواَ دوحــةِ الشَّــرفِ اللــذا ** قــد أدْنيــا للفخــرِ كــلّ قطــافِ

لانــا مَهَــزًّ عُلًــى وَرَقــا منظــراً ** وَتَوَاَخَيــاَ فِــي تاَلِــدٍ وَطــرافِ[1]

تحدّث عن علاقة النّسب بين السّيف والقلم فبهما يُصان الشّرف وتبنى المفاخر، بل ولكلٍّ منهما قيمة في بناء الحضارة، ومثال ذلك هو قيام الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي بناها المسلمون بسيوفهم حين هبّوا إلى الأقطار فاتحين وبأقلامهم حين نقلوا مبادئ دينه إلى الأمم الأخرى، فلولا السّيف والقلم لما وصلت الحضارة إلى المغرب الإسلاميّ، وهنا تَبْرُز علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون، ص 566.

الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ لأنّ الشّاعر الجزائريّ قد تشبّع بقيم هذه الحضارة ثمّ راح يثري ثقافتها ويحثّ أمّته على الالتزام بمبادئها.

وتطرّق لبيان العلاقة التي تجمع بين السّيف والقلم فقال:

وَتَنَاسَبَا قصراً وَشَفاً جَوهَراً ** وَتَمَاثَلاَ فِي البَرْيِ واَلإرْهَافِ

وَتألفاَ خُبْراً وَياَنا مخبراً ** كالماَءِ تمْزجُهُ بِصَفْوِ سُلاَفِ

رَفَعاَ سَماَءَ المُلْكِ فَوقَ بَسِيطَةً ** ليرَى السّياسَةَ رحْبَةَ الأكْناَفِ

وَتَقاَسَماَ زمنيةَ مِن حَرْبٍ وَمِن ** سِلْمٍ وَماَ اشْتَرَكاَ مَحَلَّ خِلاَفِ

هَذاَ يَصُولُ وَذاَ يَقُولُ فَهَلْ لِماَ ** خَرَقاَهُ مِن قَولٍ وَفِعْلٍ راَفِ[1]

واصل إثبات علاقة النّسب بين السّيف والقلم بل وفصّل في ثنايا هذه العلاقة بينهما، فكلاهما يتشابه في البَرْي ولولا حدّتهما لما كُتِب بالقلم ولما قُطِع بالسّيف، وبهما يُنال المُلك وتستتبّ سياستُه، وبكلاهما تُشنّ الحروب ويُبنى السِّلم، فبالسّيف يَحْمى الوطيس وبالقلم تُكتب المعاهدات وتُوقّع المهادنات.

ثمّ خصّ السّيف بالمدح والثّناء على فوائده فقال :

فاَمْتاَزَ كُلٌّ مِنهُماَ بِمَحاَمِدٍ ** واَحْتاَزَ فَضْلاً لَيسَ فِيهِ بِخاَفِ

---

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ج2،ص 567

فالَسَّـيفُ يَنْطِـقُ صـاَمِت الأَمْـنِ الـذِي ** يُرْجَـــى وَيَصْــمِتُ نـــاَطِقُ الإرْجـــاَفِ

والَسَّـيفُ إنْ يصـلتْ مَحـاَ ظُلْـمَ العِـداَ ** كاَلصُّـــبْحِ يَجْلُــو اللَّيــلَ حِــينَ يُــوافِي

والَسَّــــيفُ تَـــمَّ بِجِنْسِـــهِ وَ بِفَصْــلِهِ ** حــــدّ الشَّـــرائِعِ واَضْـــمَحَلّ النّـــافِي[1]

بعدما تحدّث عن مواطن التّشابه بين السّيف والقلم هاهو يفاضل بينهما بذكر محامدهما كلّ على حدة؛ فقد بدأ بذكر فضائل السّيف الذي يُرهب الأعداء ويُبعد شرّهم ليسود الأمن كما يسود الصّبح بعد أن يُبعد بنوره ظلمة اللّيل ووحشتها، بل والسيف له فضل في إقامة الشّرائع وضمان الالتزام بحدودها وردْع من يُخالفها، وبهذه الصّورة التي رسمها حول مكانة السّيف في بناء الحضارة يتّضح تأثّره بالحضارة في المغرب الإسلاميّ ثمّ تأثيره في بناء مقوّمات ثقافة مجتمعه وتوعية أفراده.

وتطرّق لفضل السّيف على الأمم في انتصارها فقال:

والَسَّــيفُ مــدَّ لِنَصْــرِ أَحْــزاَبِ الهُـدَى ** كفـــا تلافـــى الحَـــقّ بَعـــدَ تـــلافِ

والَسَّـــيفُ قَبْـــلُ أعَـــزَّ أُمَّـــةَ أَحْمَـــد ** واَذَلَّ أُمَّـــــــةَ نابَــــــلٍ واَســــــاَفِ

والَسَّــيفُ مــاَزَ مَناَصِــبَ العلْيــاَ وَكَــمْ ** فِـــي ظِلِّـــهِ مِـــن جَنَّـــةٍ أَلْفـــاَفِ

---

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ج2،ص 567

شَــرَفٌ بِمُنْـــتَجِ ضـــربه وَبِفَضْـــلِهِ ** صَــدَقَتْ قَضَــايَاَ المُلْـكِ دُونَ خِـلاَفِ[1]

لقد تابع حديثه عن السّيف فذَكَرَ فضله في انتصار أمّة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) وعزّتها مقابل إذلاله لأعدائها فبحدّه تُنال المعالي ويُبنى الشّرف وبه تصدق قضايا المُلك وتحفظ المواثيق والعهود وبهذه المزايا تؤسّس الأمّة حضارتها وتسود الأمم الأخرى وخير مثال على ذلك هو وصول الحضارة العربيّة الإسلاميّة إلى ضفّتي الحوض المتوسّط وتأسيسها لمزيجٍ ثقافيٍّ وحضاريٍّ كان من ثمراته هذه النّصوص الشِّعريّة الجزائريّة القديمة.

وتحدّث عن محاسن القلم وتغنّى بها فقال:

وَمِـــنَ اليَـــرَاعِ لَـــهُ أَخٌ بِجِدَاَلِـــهِ ** قَـــدْ شَـــدَّ أَزْرَ جِـــلادِهِ المُكْتَـــاَفِي

غَـــوَاصُ بَحْـــرٍ لِلْـــدَّوَاةِ إِذَاَ انْثَنَـــى ** لَفَـــظَ الجَـــوَاَهِرَ مِنـــهُ فِـــي أَصْـــنَاَفِ

كَـــالزَّهْرِ أَو كَالسِّـــلْكِ فِـــي نَثْـــرٍ وَفِـــي ** نَظْـــمٍ بِأَسْـــجَاَعٍ وَغُـــرّ قَـــوَاَفِ

قَلَـــمٌ بِـــهِ الرَّحْمَـــاَنُ أَقْسَـــمَ عِنْـــدَمَاَ ** خَـــطَّ الكَيَـــاَنَ بِنُونِـــهِ وَاَلكَـــاَفِ

قَلَـــمٌ بِـــإِذْنِ اللهِ يَكْتُـــبُ وَحْيَـــهُ ** وَيبِـــينُ مِنـــهُ كـــلَ سِـــرٍّ خَـــاَفِ[2]

---

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ج2،ص 568

[2] المصدر نفسه،ص 568

بعدما تناول مميّزات السّيف انتقل إلى الحديث عن القلم الذي وصفه بالغوّاص نسبة إلى غطسه داخل دواة الحبر لتُنْظم به الأسجاع والقوافي وتصاغ به العبارات كما يفعل الصّائغ بالجواهر حين يُنظّمها في شكل عقد ثمين، بل وقد أقسم الرّحمان به بعد أن أذن له بكتابة وحْيِه؛ وفي هذا دلالة على عظمة المكانة التي حَظِي بها القلم في كنف الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي تظهر بصمتها جليّة على نصوص الشّعر الجزائريّ القديم الذي يُعدّ امتداداً لهذه الحضارة وحاملاً لمبادئها.

وواصل وصْفه لمميّزات القَلَم فقال:

وَبِـــهِ أَحادِيـــثُ الرِّســـالَةِ والهُـــدَى ** تُـــرْوَى عَـــنِ الأَسْـــلاَفِ لأَخْـــلاَفِ

والعِلْـــمُ والآدابُ والحِكَـــمُ التِـــي ** بَهَـــرَتْ بِـــهِ ظَهَـــرَتْ بِـــنَصٍّ شـــافِ

وَبِـــهِ الحِســـابُ غَـــدَتْ مَراتِـــبُ أُسِّـــهِ ** مَبْنَـــى قَواعِـــد شِـــرْعَة الإِنْصـــافِ

وَبِـــهِ حَـــدِيثُ الأَوّلِـــينَ تَقُصُّـــهُ ** فِـــي الآخـــرينَ صَـــحائِفُ الآلافِ[1]

أعرب عن ذكر محامد القلم الذي دُوِّنَ بفضلة القرآن الكريم وقُيِّدَتْ به أحاديث الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ليستطيع السَّلَفُ إبلاغ الخَلَفِ بتعاليم

[1] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون ،ج2،ص 568 وص569

دين الله الحنيف، بل وكُتِبَتْ به علوم الأوّلين وآدابهم وحكمهم ليستفيد منه الذين بَعْدَهم، وبه ضُبط الحساب وبُنيت قواعده، وتَبْرُز هنا مكانة القلم في دورة بناء الحضارة واستمرارها في الزّمان والمكان والحال نفسه يسري على الحضارة في المغرب الإسلاميّ التي أثّرت في الشِّعراء الجزائريّين وجعلتهم يكملون مسيرة الحضارة وإثراء ثقافتها بل والتّوثيق لها بأقلامهم في نصوصهم الشِّعريّة.

وكان للحضارة الإسلاميّة أثر على الإبداع الشِعريّ في المغرب الإسلاميّ مثلما يستبين ذاك لدى التّلاليسي الذي أنشد مُعبّراً عن رغبته الشّديدة في زيارة البقاع المقدّسة:

دَعِ عَنكِ ذِكْرَ الصِباَ وَبادِرِ * ياَ نَفْسُ للحجِّ واَقْلِعي * واَجْتَهِدِي واَترُكِي المَعاَذِرْ

وَجَدِّدِي السَيرَ واَسْرِعِي * لَعَلَّ أَنْ تَسْعَدَ المَقاَدِر * لَكِ بِخَيرٍ واَسْمَعِي

أَماَ تَرَى العَشِقِينَ ساَرُوا * وَركْبهُمْ قاَصِداً أماَمْ

حاَدِيهم دائِماً يُغَنِّي * هُبُّوا إِلَى الكَعْبَةِ الحَراَمْ

ياَ مَن عَلَى الحَجِّ كاَنَ عاَزِم * وَراَعَهُ دَرْبُهُ البَعِيد * أعدل إِلَى كَعْبَةِ المَكاَرِمْ

كَفَ الإماَمُ الرِّضَى السَّعِيد * مُوسَى الذِي شاَعَ بالأَقاَلِم * تَنْسَى بِهِ دَولَةَ الرَّشِيدْ[1]

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 89.

حثّ الشّاعر نفسه على الإسراع إلى الحجّ من أجل تزكيتها حتّى تفوز بالخير والنّجاة، وعبّر في الوقت نفسه عن اشتياقه للكعبة الشّريفة حيث وصف الذين عقدوا العزم على الحجّ إليها بالعاشقين ودعاهم إلى الصّبر على مشقّة السّفر التي ستتلاشى بمجرّد بلوغهم المرام، وأنهى أبياته بمدح المَلِك الزّياني الذي أعاد لتلمسان مجدها وهيبتها، وتتجلّى علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلامي في تعطّش الشّاعر إلى أداء فريضة الحجّ على غرار غيره من أهل المغرب الإسلامي الذين دأبوا على شدّ الرّحال إلى البقاع المقدّسة فقد تأثّر بهذا الحدث الحضاريّ ثمّ أثّر في مجتمعه بتشجيعه النّاس لأداء هذه الفريضة المقدّسة وبمواساته لهم حين دعاهم للصبر على مشقّة السّفر.

2. المدن ووصف نمط الحياة السائدة فيها:

لقد عبّر الشّاعر التّلاليسي عن حبّه لتلمسان وشغفه بطبيعتها السّاحرة، وعمّا كان له من ذكريات أيّام شبابه التي عاشها في هذه المدينة باعتبارها مهداً للحضارة* في المغرب الإسلاميّ فقال:

---

* لقد حازت مدينة تلمسان هذه المكانة بفضل موقعها الجغرافي الذي استقطب التجّار من وِجهة، والمفكّرين والمبدعين من وِجهة أخرى، للتّفصيل أكثر يُنظر: الموجز في تاريخ الجزائر: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009م،ج1، ص210. / تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك الميلي، بيروت، 1963م، ج2، ص377.

سَقَى اللهُ مِن صَوبِ الحَياَ هاَطِلاً وَبْلاَ ** رُبُوعَ تِلِمْساَنَ التِي قَدْرُهاَ اسْتَعْلَى

رُبُوعٌ بِهاَ كاَنَ الشَّباَبُ مُصاَحِبِي ** جُرِرْتُ إِلَى اللَّذّاَتِ فِي داَرِهاَ الذِّيلاَ

فَكَمْ نِلْتُ فِيهاَ مِن أَماَنٍ قصيةٍ ** وَكَمْ مَنَحَ الدَّهْرُ الضَّنِين بِهاَ النَّيلاَ

وَكَمْ غاَزَلَتْنِي الغِيدُ فِيهاَ تَلاَعُباً ** وَكَمْ مِن عَذُولٍ لاَ أطِيع لهُ قَولاَ

وَكَمْ لَيلَةٍ بِتْناَ عَلَى رَغْمِ حاَسِدٍ ** نُدِيرُ كُؤُوسَ الوَصْلِ إذْ بالصَّفاَ تُمْلاَ[1]

تغنّى بمدينة تلمسان واسترجع ذكرياته فيها حيث وصف نمط الحياة التي سادت فيها في تلك الفترة، وقد ركّز في وصفه على مناظرها الخلاّبة التي تأسر النّفس وتريحها، وتحدّث أيضا عن الأمن الذي ساد في هذه المدينة، وهنا تظهر علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ؛ إذْ إنّ الشّاعر قد تأثّر بأمن المدينة الذي نجم عن تحضّرها* وتأثّر ببيئتها الغنّاء ثمّ أثّر في ثقافة المغرب الإسلاميّ بأن أثْراها

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 82.

* لقد بلغت مدينة تلمسان ذروة ازدهارها السّياسي والاجتماعي والثّقافي في عهد الدولة الزّيانية، للتفصيل أكثر يُنظر: الأندلسيّون وتأثيراتهم الحضاريّة في المغرب الأوسط من ق 07ه إلى ق 09ه ومن ق 13م إلى ق 15م، محمّد سعداني، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، كليّة العلوم الإنسانيّة والعلوم الإسلاميّة، جامعة أحمد بن بلّة وهران، 2015، إشراف أ.د محمّد بن معمر، ص 51.

بشعره ووثّق تاريخ مدينة تلمسان التي تُعدّ مركزاً للإشعاع الحضاريّ ومعلماً من معالم الحضارة في المغرب الإسلاميّ.

ووصف المناظر الخلاّبة التي تَزْخَر بها مدينة تلمسان مُستحضراً في الوقت نفسه ماضيه السّعيد الذي قضّاه في كنف هذه المدينة الجميلة فقال:

وَكَمْ لَيلَةٍ بِتْنَا بِصَفْصِيفِهاَ الذِي ** تَسَامَى عَلَى الأَنْهارِ إِذْ عَدِمَ المُثْلاَ

وَكُدْيَةُ عُشّاَقٍ لَهاَ الحُسْنُ يَنْتَهِي ** يَعُودُ المُسِنُّ الشَّيخُ مِن حُسْنِهاَ طِفْلاَ

نَعَمْ، وَغَدِيرُ الجُوزَةِ السّاَلِبُ الحِجَى ** نَعِمْتُ بِهِ طِفْلاَ وَطِبْتُ بِهِ كَهْلاَ

وَمِنهُ وَمِن عَينِ أُمِّ يَحْيَى شَرابُناَ ** لِأَنَّهُماَ فِي الطِّيبِ كاَلنِّيلِ بَلْ أَحْلَى[1]

تحدّث عن جمال الطّبيعة في مدينة تلمسان وتغنّى بحسنها الكفيل بأن يجعل الشّيخ طفلاً بفضل صَفْصِيفِها الذي تسامى على الأنهار وكُدْيَتها التي تأسر قلوب العشّاق وغدير الجوزة وعين أمّ يحيى التي بلغ ماءها مِن الطّيب ما هو أحلى من النّيل لذّة للشّاربين، وهنا تتجلّى علاقة التأثّر ثّم التأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلامي لأنّ الشّاعر قد تأَثّر بجمال مدينة تلمسان وتمتّع بنِعَمها مُذْ أن كان طفلاً حتّى صار كهلاً ثمّ أَثّر في بناء ثقافة مجتمعة

1 أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 83.

حين وثّق لمناطق مدينة تلمسان بأسمائها مثل ذكره للصّفصيف والكدية وعين أمّ يحيى ووصفه لطبيعتها.

وتفنَّن في مدح العبّاد بمدينة تلمسان فقال:

وَعُبّاَدُهــاَ مــاَ القَلْــبُ نــاَسٍ ذِمامَــهُ ** بِــهِ رَوضَــةٌ لِلْخَيــرِ قَــدْ جُعِلَــتْ حِــلاًّ

بِـهِ شَـيخُناَ المَشْـهُور فِـي الأَرْضِ ذِكْـرُهُ ** أَبُــو مَــدْيَنِ أَهْــلاً بِــهِ أَبَــداً أَهْــلاَ

لَهــاَ بَهْجَــةٌ تُــزْرِي عَلَــى كُــلِّ بَلْــدَةٍ ** بِتــاَجٍ عَلَيهــاَ كــاَلعَرُوسِ إِذاَ تُجْلَــى

فَيــاَ جَنَّــةَ الــدُّنْياَ التِــي راَقَ حُسْــنُهاَ ** فَحـاَزَتْ عَلَـى كُـلِّ الـبِلاَدِ بِـهِ الفَضْـلاَ[1]

لقد شبّه منطقة العُبّاد في مدينة تلمسان بروضة الخير وبالعروس التي تزيّنت بتاج البهجة والحُسْن بل ووصفها بجنّة الدّنيا التي راقت البلاد برونقها فضلاً، ولم يفته ذِكْر أبى مدين شعيب* دفين العُبّاد الذي يُعدّ علماً بارزاً من أعلام الحضارة في المغرب الإسلاميّ، وتتّضح علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في ربط الشّاعر بين سِحْر

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 83.

* كان لأبي مدين شعيب إنتاج أدبيّ غزير، وقد برع في الشّعر وقول الحكمة، للتفصيل أكثر يُنظر: الخطاب الأدبيّ القديم في الجزائر دراسة بيليوغرافيا، مختار حبار، منشورات مخبر الخطاب الأدبي في الجزائر –جامعة وهران، (د ط)، 2007م، ص 32.

طبيعة العُبّاد وبين تاريخها الحضاريّ في كونها حاضنة لأبرز أعلام المغرب الإسلاميّ ليكون قد أسهم بإبداعه الشِّعريّ في إثراء ثقافة أمّته.

وأثنى على أبي حمّو موسى الثّاني في المقطوعة الشِّعرية الآتية:

وَلاَ عَجَبٌ أَنْ كُنْتِ فِي الحُسْنِ هَكَذاَ ** وَمُوسَى الإمـاَمُ المُرْتَضَى فِيكِ قَدْ حَلاَّ

وَلاَحَتْ لَدَيناَ فِيكِ مِنهُ مَحاَسِنٌ ** كأَنَّ سَناَهاَ حاَجِبُ الشَّمْسِ إذ جَلَّى

مُطاَعٌ شُجاَعٌ فِي الوَغَى ذُو مَهاَبَةٍ ** حُساَمٌ عَلَى الباَغِينَ فِي الأَرْضِ قَدْ سُلاَّ

كَرِيمٌ حَلِيمٌ حاَتَمِيٌّ نَواَلُهُ ** سَعِيدٌ حَمِيدٌ يَصْدِقُ القَولَ واَلفِعْلاَ[1]

مدح الشّاعر المَلِك الزّياني ووصفه بالإمام المرتضى وتغنّى بخصاله الحميدة مثل الشّجاعة والكرم والصدق في القول والعمل ويُرجع الفَضْلَ إليه في اكتساب تلمسان لحسنها واسترجاعها لهيبتها ومكانتها بين الدّول*، وتظهر علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في تأثّر

---

[1] أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، ج4، ص 84.

* لقد بذل أبو حمّو موسى الثّاني طاقة كبيرة في جعل الدّولة الزّيانية منارة للعلم والأدب والفنّ في المغرب الإسلاميّ على الرّغم من الحروب الخارجيّة والاضطرابات الدّاخليّة التي واجهها، للتفصيل أكثر يُنظر: بنية الخطاب في شعر أبي حمّو الزّياني، آمنة نوريّ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربيّ القديم، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009، إشراف د. السعيد لراوي، ص 08.

الشّاعر ببيئته الحضارية التي وفّرتها له مدينة تلمسان ثّم تأثيره في ثقافتها عندما ربط بين قِيَمِ الحضارة التي كانت راسخة عند المَلِك الزياني متجسّدةً في مكارم أخلاقه وبين تحوّل مدينة تلمسان إلى مركز للإشعاع الحضاريّ* في المغرب الإسلاميّ.

أمّا الشّاعر يوسف الثّغري فله هو أيضاً نصوص في التغنّي بجمال مدينة تلمسان وحضارتها**؛ وقد وصف إحدى عشاياها فقال:

وإذا العَشِــيّة شَمْسُــهاَ مالَــتْ فمِــلْ ** نَحْــوَ المُصَــلَّى ميلــةَ المُتَمهِّــل

وَبِمَلْعَــبِ الخَيــلِ الفَسِــيحِ مجــهُ ** أَجِــلِ النَّــواَظِرَ فِــي العِتــاَق الحُفَّــلِ

فَبِحَلبَــةِ الأَفْــراَس كُــلَّ عَشِــيَّةٍ ** لَعِــبٌ بِــذاَكَ المَلْعَــبِ المُتَسَــهّلِ

فَتَــرَى المجلّــى والمصــلّى خَلْفَــهُ ** وَكِلاَهُمــاَ فِــي جرْيــه لاَ يــأْتلِي

---

* لقد أسهمت تلمسان في نشر الثّقافة العربيّة في المغرب الإسلاميّ من وِجهة وساهمت في ازدهار الحركة التّجاريّة في هذه الجغرافيا من وِجهة أخرى، للتّفصيل أكثر يُنظر موسوعة المغرب العربي: عبد الفتاح مقلد الغنيمي،ط1، مكتبة مدبولي القاهرة،1994 م، مج03، ص 162. / الرّوابط الثّقافيّة بين الجزائر والخارج: محمد بن عمرو الطمار،(د.ط)، سلسلة الدراسات الكبرى،الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع،الجزائر،1983م، ص 236.

** كان لتلمسان دور بارز وفعّال في الإشعاع الحضاريّ عبر تاريخها المشرق والحافل بالنّجاحات، للتفصل أكثر يُنظر: تلمسان حاضرة المغرب الأوسط، عبدلي لخضر، مجلة الفضاء المغاربي، العدد 04، 2007، ص220.

هَـــذاَ يَكـــرّ وَذاَ يفـــرّ فَيَنْثَنِـــي ** عِطْفـــاً عَلَـــى الثّـــاَنِي عنـــاَن الأوّلِ

مــن كــلِّ طــرفٍ كــلُّ طــرْفٍ يسْــتبني ** فيـــدَ النَّـــواظرِ فتْنـــةَ المُتاَمّـــلِ[1]

وصف ملعب الخيل حينما تطلّ عليه الشّمس وتحدّث عن أفضيته التي تخطف عقل المتأمّل فيها بل وتأسر نفسه على غرار المصلّى وحلبة الأفراس التي دأب النّاس على ممارسة الفروسية فيها كلّ عشيّة ناهيك عن الطبيعة الغنّاء التي تحيط بهذا الملعب، وتتجلّى علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في تأثّر الشّاعر بالذوق الحضاريّ الذي يتجسّد في بناء ملعب الخيل في مكانٍ فسيحٍ يشرح نفس زائره وتدعيم هذا الملعب بالمصلّى الذي يُمثل جوهر العمارة الإسلاميّة، ثمّ تأثيره في ثقافة مجتمعه حينما خصّص لهذا المصلّى صورة جمالية في شعره بغرض بثّ رسالة إلى المتلقّي مفادها أنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة انبثق إشعاعها من المساجد وأنّ امتدادها أسهمت فيه الخيول التي فتح المسلمون بفضلها أقطار الأرض المختلفة، وقد خرج الشّاعر بثنائيّة حضارية تتمثّل في الجَمْعِ بين المساجد والخيول التي ساعدت في توطيد الحضارة في المغرب الإسلاميّ.

---

[1] الخطاب الشِّعري عند فقهاء المغرب، محمّد مرتاض، ج2، ص687.

3. المعارك ومراسيم التّحضير لها:

لقد كان للمعارك دور في تأسيس الحضارة العربيّة الإسلاميّة عبر ما خطّه الشّعر في الفترة المعنيّة بهذا البحث؛ من ذلك ما عبّر عنه السّلطان أبو حمّو موسى الثّاني* في قوله:

وَكَـمْ مِـن فَيـاَفٍ قَـدْ قَطَعْـتُ أكاَمَهـاَ ** وَكَـمْ نَسْـمَةً جـاَدَتْ عَلَيهـاَ نَسـاَئِمِي

وَ بَــينَ ضُــلُوعِي زَفْــرَةٌ مُسْــتَكِنَة ** يصــعدها فَــيضُ الــدُّمُوعِ الســواَجِم

وَبِتْناَ نَسُوقُ النجع فِي غَيهَبِ الدُّجَى ** وخرصــاننا فِيهــاَ كَشُــهُبٍ عَــواَتِم

إِلــى ملَــلٍ مِلْنــاَ وَمــاَ ملــت السَّــرَى ** سَــراَياَ ركــاَبٍ كالقســيّ السّــواَهِم[1]

لقد وصف مسيره مع جنوده إلى أرض المعركة حين استطاعوا التغلّب على صعوبات الطّريق من وِجهة والصّمود نفسيّاً وذهنيّاً بحفاظهم على رباطة الجأش على الرّغم من المشقّة والمَلَل من وِجهة أخرى، ويتجلّى البُعد الحضاريّ في مقدرة هذا القائد على التأثير في جنوده بما يَرْفع معنويّاتهم ويُهيِّئهم لدخول

* لقد تجلّى الواقع البطولي لشخص أبي حمّو وجيشه في عدّة مواضع حرص فيها على سرد العوائق والعقبات التي أسفرت عن معدنه الصلب، للتفصيل أكثر يُنظر: وصف المعارك في الشّعر الزياني (السلطان أبو حمّو موسى أنموذجا)،نوريّة بن عدّي، مجلّة الفضاء المغاربي، العدد 7/6، 2011، ص 168.

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص 302.

الحرب بكلّ قواهم النّفسيّة والذّهنيّة ليحسموا المعركة بكلّ حزم، ولم تتأتّى لهذا الشّاعر دقته في الوصف من فراغٍ بل جاءت من رأيته الثّاقبة التي كسبها بفضل خبرته العسكريّة، وهنا تَبْرُز علاقة التأثُّر ثُمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ.

وصوّر أحداث معاركه التي انتصر فيها على أعدائه فقال:

وَلَمّــاَ بَــداَ لِــي منــزل القَــومِ ظــاَهِراً ** وَحَــــيّهم بَــــينَ الظِّــــلاَلِ الغَيــــاَهِم

جَبــــذْناَ مَجاَذِيبــــاً وجــــدت جِيادَهــــاَ ** وَجاَلَــتْ كَمــاَ العُقْبــاَنُ بَــينَ السّــقاَهِم

وَضَــمْرٌ عَنــاَجِيجٌ عَلَــى صَــهْواَتِهاَ ** كِــــراَمٌ ســــماح بِــــالنُّفُوسِ الكَــــراَئِم

نُطــاَرِدُ فِيهــاَ الخَيــلَ بِالخَيــلِ مثلهــاَ ** فَكــاَنَ عَلَــى الأَعْــداَء كــرّ الهَــزاَئِم[1]

تحدّث عن دخول جيشه إلى قلب المعركة حين برهن جنودهم عن جاهزيّتهم القتالية في الكرّ والفرّ والدّليل على ذلك قوله:(نطارد فيها الخيل بالخيل) هذا مِن وجهة وعن مقدرته في القيادة الميدانيّة لأطوار المعركة والتي تتلخّص في الاستطلاع الميداني الذي قال عنه: (ولمّا بدا لي منزل القوم) وقوله: (وحيّهم بين الظّلال الغياهم)، وفي الهجوم الخاطف الذي خطّط له بعناية

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 302.

وأعلن عنه في المكان والزّمان المناسبين بما حسم الأمور لصالحه مِن وِجهة أخرى، ويدلّ على انتهاجه لهذه الإستراتيجية العسكريّة قوله: (جذبنا مجاذيبا وجدت جيادها، وَجاَلَتْ كَماَ العُقْبَانُ بَينَ السّقاَهِم) فقد ناوَر هذا القائد بجنوده ثمّ أخذ خصمه على حين غِرّة، وهنا يظهر تأثّر الشّاعر الجزائريّ بالحضارة في المغرب الإسلاميّ ومواكبته لها فقد أثبت حكمته العسكرّية قائداً وملكته الإبداعيّة شاعراً.

وتطرّق للتفصيل في أطوار المعركة التي خاضها فقال:

حَمَلْنـــاَ عَلَـــيهِمْ حَمْلَـــةً مُضْـــرِيَة ** فَوَلّــوا شـــرَاَداً مِثْـــل جفـــلِ النَّعـــاَئِم

فَوَلَّـــتْ ســـويد ثُـــمَّ خَلـــتْ مُجِيرَهـــاَ ** وَشَـيخُ حَماَهـاَ فِـي الثّـرَى أَيّ جـاَثِم

وَكَــمْ خَلَفُــوا مــاَ بَــينِ بكــرٍ وَبِكْــرَة ** وَمـــنْ غــــاَدة مُلْتَفَّــــةٌ بِالهَــــدائِم

وَكَـــمْ قُبَّـــةً طاَحَـــتْ وَطـــاَحَ أَمِيرُهـــاَ ** عَلَـى الأَرْضِ مـاَ بَـينَ الصَّـفاَ واَلوَثـاَئِم[1]

واصل في وصف معركته التي نال فيها جنوده من أعدائهم الذين تشتّتت ريحهم وخارت قواهم بسبب قوّة الهجوم الذي شنّه جيشه عليهم، ووصف خسائر العدوّ الذي ولّى مُدبراً وهو يجُرُّ أذيال الخيبة من جرّاء الهزيمة القاسية

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص 303.

التي سُلّطت عليهم بفضل ذكاء وفطنته ودهائه في إدارة المعركة، وتفاني جنوده في القتال وولاؤهم لقائدهم، وهنا تبْرُز علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ، فهذا الشّعر يحمل في ثناياه قِيَمَ هذه الحضارة بل وقد وثّق لتاريخها وبَثّها في الأذهان جيلاً بعد جيل.

وفي السّياق ذاته تحدّث عن معاركه موثّقاً أحداثها فقال:

وَجاَلَــتْ خُيُولهــاَ لِلْحِجــاَزِ كاَنَّهــاَ ** عُقــاَبٌ تَمَطَّــى بَــينَ فــرقِ الحَمــاَئِم

فَحــاَزَ الثَّــاَ فِيهــاَ ســقير بْــنُ عــاَمِر ** كَمــاَ حــاَزَ مِــن قَبْــلُ ذيــاَبُ بْــنُ غــاَنِم

وَطاَحَــتْ عَلَــى واَدِي مــلاَل هشــاَئِم ** مِــنَ القَــومِ صَــرْعَى لِلْنُّسُــورِ القَشــاَعِم

فَكاَنَــتْ إِلَــى الطَّيــرِ الغَشِــيمِ فَرِاَئِســاً ** وَكاَنَــتْ عَلَــى الأَعْــداَءِ شُــؤْم الــذَماَئِم[1]

تابع الشّاعر وصف المعركة التي بلغت الأوج في احتدامها وحَمِيَ وطيسها، فهاهو ذا يُشبّه خَياَلَتَه بالعقبان التي تحوم انقضاضاً على أسراب الحمام تُفرّقها ثّم تفترسها الواحدة تلوى الأخرى، وهنا تتجلّى حِنْكَته العسكريّة حيث تنوّعت خططه الأمر الذي ينمّ عن تشرّبه للفكر الحضاريّ الذي سادَ في تلك الفترة

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 303 وص304.

وهذا خَير مثال يُجسّد علاقة التأثّر ثمّ التأثير بَين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ.

وافتخر بتغلّبه على أعدائه مُعبّراً عن فرحته بهذا الانتصار فقال:

وَهَبَّتْ رِيـاَحُ النَّصْـرِ مِـن كُـلِّ جانِـب ** وَجـاَءَتْ إِلَينـاَ مبْهجـاَتُ الغَنـائِم

وَلَمّاَ قَضَـيناَ الأَمْـرَ فِـي الحَـرْبِ مِـنهُم ** رَحَلْنـاَ بِعَـونِ اللهِ نَحْـوَ المَعـاَلِم

وَخَضْـراَءُ كبُـودٌ تبَـدَّتْ هِضـاَبُهاَ ** وَهَبَّـتْ رِيـاَحٌ عـاَطِراَتُ النَّواَسِـم

دَرجْنـاَ إِلَـى درجٍ وَلاَحَـتْ بَشـاَئِر ** بِهَلْـكِ الأَعـاَدِي التّاَعِسِـينَ الأَشـاَئِم[1]

وصف انتصاره على أعدائه بالرّياح التي زفّت إليه غنائم الحرب وفي هذا دلالة على فوزه الكاسح على أعدائه، ولكنّ الأمر لم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل شدّ على عضد جنوده وراح يُلاحق أعداءه حينما حلّوا لأنّه رام استرجاع مدينة تلمسان من غُصّابها، وهنا تُستشفّ علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ، فالشّاعر قد تأثّر بمحيطه الذي فرض عليه الذّودَ عن دولته بخوض الحروب وقد استجاب

[1] أبو حَمُّو موسى الزّياني حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات ، ص 304.

لهذا التّحدّي بالإيجاب وراح يرْسُم الملاحِم بالسّيف والقلم اللذين يرتكز عليهما البناء الحضاريّ.

وتغنّى بالملاحم التي صنعها مع جنوده مُبدياً تفاؤله بتحقيق النّصر في كلّ معركة يخوضها فقال:

وَسِـرْناَ ضُـحًى واَلنَّصْـرُ يَهْفُـو أَماَمَنـاَ ** بِراَيـــاَتِ سَـــعْدٍ فَوقَنـــاَ كاَلْغَمـــائِم

قَـــدمْناَ وَكـــاَنَ الفَـــتْحُ يَرْجُـــو قُـــدُومَناَ ** وَكـــاَنَ عَلَـــى الأَعْـــداَءِ شَـــرّ المَقـــاَدِم

وَصَـــفُّوا صُـــفُوفاً ثُـــمَّ صُـــفَّتْ صُـــفُوفُناَ ** وَســـاَلَتْ دُمُـــوعُ القَـــومِ مِثْـــل العَنـــاَدِم

وَجاَلَـــتْ لُيُـــوثُ الحَـــرْبِ بَـــينَ صُـــفُوفِهاَ ** وَخَـــطَّ بِهـــاَ الخطـــي بَـــينَ الحَلاَقِـــم[1]

صوّر معركته الجديدة التي جاء إلى ميدانها وكلّه حماسة لتحقيق النّصر، كيف لا ؟ وقد ارتشف منه جنوده حتّى أصبحوا ألوا بأس شديد لا يخشون مواجهة العدوّ فهم كالأسود ضراوةً تصول وتجول في الحرب بين الصّفوف، ولا حول ولا قوّة لخصومهم سوى ذرف الدّموع من شدّة ضعفهم وقلّة حيلتهم، ويتّضح من هذه الصّورة الملحميّة أنّ الشّاعر له من الرُّؤية الثّاقبة ما جعله يعيش المعركة بأدقّ تفاصيلها؛ فرؤيته الواضحة لميدان المعركة تنمّ عن موهبته الفذّة

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 305.

في تقدير المواقف وحسن تدبيرها بل وتوثيقها في شعره بما يجعل المتلقّي يتلقّف المغزى ويُحاكي الموقف بذهنه ومشاعره، وهنا تتأكّد علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ لأنّ الشّاعر يَكْتُب وفقاً لتجربته الشّخصية مع صدق العاطفة.

ووصف ضراوة الحروب التي خاضها مع ذِكْرِهِ لأماكن وقوعها وسرده لأحداثها فقال:

عَلَوناَ عَلَى اصطفطيف واَشْتَدَّ بَينَناَ ** حُرُوبٌ تُشِيبُ الراَسَ قَبْلَ الفَطَائِم

كَرَرْناَ عَلَيهِم كَرَّةً بَعْدَ كَرَّة ** وَقَدْ شعلت لِلْحَرْبِ نِيراَن جاَحِم

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهاَمَ عَن مُسْتَقَرِّه ** وَطَعْن مَضَى بَينَ الكلَى واَلحَياَزِم[1]

تابع الشّاعر حديثه عن معركته بدقّة متناهية فقد حدّد موقع جيشه في الميدان بذِكْرِهِ لظرف المكان (عَلَوناَ) وفي هذا التمركز الذي اتّخذه أبو حمّو وجنوده خير دليل على حدّة ذكاء الرّجل وتمرّسه في فنون الحرب لأنّ السّيطرة على ميدان المعركة مرهونة بالاستحواذ على قمّته وحرمان العدوّ من التفوّق الميداني الذي يتلخّص في الرّؤية الواضحة لانتشار العدوّ، والسّيطرة على ممرّات

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص 305.

إمداده، وحماية النّفس من مبادرته في الالتفاف المباغت، وأضف إلى ذلك خطّة الهجوم التي انتهجها هذا القائد المُحنّك والتي صرّح بها في قوله: (كَرَرْناَ عَلَيهِم كَرَّةً بَعْدَ كَرَّة) وأسلوب الهجوم هذا يُتيح لأبي حمّو ضرب الخطوط الأماميّة للعدوّ وإرباك دفاعاته من جرّاء الخسائر الفادحة التي يتكبّدها بسبب وتيرة الهجوم المتصاعدة لجيش هذا القائد الذي يُهاجم في شكل موجات متلاحقة يستحيل أن يصمد أمامها الأعداء.

ويبدو أنّ أبا حمّو موسى الثّاني كان فارساً من طرازٍ رفيعٍ والدّليل على ذلك وصفه الدّقيق لعمليّة الالتحام بين جنوده وأعدائهم في قوله:(بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهاَمَ عَن مُسْتَقَرِّه) و(طَعْن مَضَى بَينَ الكِلَى واَلحَياَزِم)؛ فتفريق أبو حمّو بين الضّرب والطّعن ووصفه لتوجيههما بدقّة ينمّ عن خوضه لمعاركه بسيفه قائداً لجنوده الذين اختارهم بعناية شديدة، وهنا يتجلّى تأثّر الشّاعر بالحضارة في المغرب الإسلاميّ وتأثيره في ثقافتها بإثرائها بخبرته العسكريّة وإبداعه الأدبيّ وتوثيقه للأحداث التي عايشها بنفسه بل وأثّر في مُجرياتها.

وعبّر عن فرحته بالنصر الذي حقّقه على أعدائه فقال:

فَهَــذاَ أَسِـــيرٌ صَــــفَّدَتْهُ يَــــدُ الــــوَغَى ** وَهَــذاَ قَتِيــلٌ فِـــي عجــاَج المَصــاَدِم

فَطُــوبَي لِعَبْــدِ الــوادِ عِنْــدَ ازْدِحــاَمِهِم ** لَقَــدْ جَــدَّلُوا فِــي الحَــرْبِ كُــلَّ مُــزاَحِمِ

وَجاَلَـــتْ خُيُـــولُ العاَمِرِيَّـــةِ عِنْـــدَهاَ ** كاَسْـد الشـرَى فِــي مَوجِهــاَ المُـتَلاَطِمِ

وَعـاَدَ شُـعاَعُ الشَّـمْسِ فِـي الجَـوِّ أَصْـفَراَ ** وَجـاَلَ ذبـاَبُ السَّـيفِ بَـينَ الغَلاَصِـمِ[1]

تحدّث السّلطان عن الخسائر التي تكبّدها عدوّه بعد نهاية المعركة في نبرة تَدُل على انتشائه بالنّصر والهدف من ذلك هو إعطاء العبرة لسائر أعدائه عمّا ينتظرهم من بأسٍ شديدٍ إذا ما فكّروا في مواجهته والاعتداء على دولته، وهنا تبْرُزُ علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ لأنّ الشّاعر وعلى الرّغم من حنكته العسكريّة لم يُهمل الحكمة السّياسية في مجابهة أعدائه بل إنّه وظّف الرّدع المعنويّ في ترهيب أعدائه مُجسّداً بذلك القيمة الحضاريّة التي تدعوا إلى الانتصار على العدوّ من غير إراقة الدّماء.

وتناول قوّة جيشه الضّاربة وما أظهره جنوده لعدوّهم من بأسٍ شديدٍ فقال:

جَعَلْنـــاَ كَراَدِيســـاً عَلَـــى كُـــلِّ رَبْـــوَة ** وَطاَلَــتْ رِقــاَب الأُسْــدِ تَحْــتَ العَمــاَئِمِ

شَــدَدْناَ عَلَــيهِمْ شَــدَّةً بَعْــدَ شَــدَّة ** فَوَلُّـــوا فِـــراَراً واَلْتَجُـــوا لِلْمَعاَصِـــم

وَداَرُوا بِأَسْـــواَرِ المَدِينَـــةِ كُلِّهـــاَ ** كَــدورِ سِــواَرٍ فَــوقَ أَبْهَــى المَعاَصِــم

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص305 وص 306.

وَقَــدْ بَــرَزَتْ مِــن خِــدْرِهاَ كُــلُّ غــاَدَة ** دَرَجْــنَ عَلَــى الأَسْــطاَحِ دَرْجَ الحَمــائِمِ[1]

تابع تقيّيمه لنتائج المعركة التي حسمها لصالحه بفضل خبرته العسكريّة ووصف القوّة الشّديدة التي أبداها جنوده في مواجهة العدوّ الذي ولّى الأدبار وهو يَجُرُّ أذيال الخيبة، وتظهر جليّا الجهود المُضْنية التي بذلها هذا القائد الزّياني في سبيل استرجاع دولته بمدينة تلمسان التّي تعدّ مركزاً للإشعاع الحضاريّ في المغرب الإسلاميّ بفضل هذه التّضحيات الجِسام.

تحدّث الشّاعر عن السّيف ودوره في حسم المعارك فقال في قصيدة أخرى عنوانها (السيف أجدر والخطي من خطب):

السَّــيفُ أَجْــدَرُ واَلخطــي مِــن خُطَــب ** فِيهــاَ اللّجــاَج وَقَــولٌ غَيــر مُنْتَســب

خَــطّ الكَتائِــب لاَ خَــطّ الكُتّــاب بِهــاَ ** جَلِيّــة الأَمْــر عِنْــدَ السَّــمَرِ واَلقضــب

واَلحَــقُّ فَــرْضٌ عَلَــى الإِنْســاَنِ مُفْتَــرض ** واَلصِّــدْقُ أَفْضَــلُ مــاَ أودعــت فِــي الكُتُــب

وَمَــن غَــداَ السَّــيفُ فِــي كَفَّيــهِ عارِيَــة ** فَكَيــفَ يُــدْرِكُ مــاَ يَرْجُــو مِــنَ الأَرب[2]

بيّن مكانة السّيف في الحروب والتي لا يُمكن أن تُعوَّضَ بالخطابات الرنّانة التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع، ويؤكّد ضرورة توظيف هذا السّيف

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 306.

[2] المرجع نفسه، ص 323.

في الدّفاع عن الحقّ وإعلاء كلمته، وهنا تَتَبَلْوَر علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ لأنّ الشّاعر كان مُلتزماً في شعره بقيم الحضارة المُتمثّلة في نُصرة أهل الحقّ بالسّيف والقلم.

وأقرّ بأنّ تمسّكه بأمر الله قد أثمر تفوّقه على خصومه وهزيمته لهم فقال:

وَمَــن يُعــاَرِض بِــأَمْرِ اللهِ مُعْترضــاً ** يَخْسَـرُ وَيُصْـبِحُ عَلَـى بَحْـرٍ مِـنَ التَّعَـب

أَيُمْــنَحُ المَــرْءُ واَلقَهّــاَرُ يَمْنَعُــهُ ** أَو يُوهَــبُ الأَمْــرَ واَلوَهّــاَبُ لَــمْ يَهِــب

كَـمْ غاَصِـب قَـبْلَكُمْ قَـدْ عـاَدَ مُنْتَهِبـا ** وَطاَلِــبٌ خــاَبَ واَلمَطْلُــوبُ لَــمْ يَخِــب

مَـــن راَمَ إِدْراَكَنـــاَ راَمَ المُحـــاَلَ وَلاَ ** يَنْجُـو مِنَ السَّيفِ مَن قَدْ لَجَّ فِـي الهَرَب[1]

تطرّق لعقيدته الرّاسخة في أن النّصر من عند الله مادام المرء ملتزماً بطريق الحقّ مُتعفّفاً عن الظُّلم والجور، وهنا يتجلّى تأثّر الشّاعر بالحضارة العربيّة الإسلاميّة التي انبثقت من عقيدة التّوحيد التي أسّست لنهضة العرب والمسلمين الأوائل، ثمّ تأثيره في ثقافة أمّته بإثرائها بقيم هذه الحضارة ونشر الوعي لدى رعيّته ولدى خصومه على حدٍّ سواء بضرورة الاحتكام لأمر الله في الحرب والسِّلْم.

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص 324.

وتحدّى أعداءه وأكّد لهم بأنّ جيشه مُستعدٌّ لردِّ أيّ اعتداءٍ والإطاحة بمنفّذيه بكلّ حزم فقال:

كَـــمْ رامَ غَيــرُكُمْ مــاَ رُمْتُمُــوهُ فَمــاَ ** نــاَلُوهُ وانْقَلَبُــوا فِــي سُــوءِ مُنْقَلــب

جُــرْتُمْ عَلَــى اللهِ فِــي أَحْكاَمِــهِ وَلَقَــد ** قَطَعْــتُمُ الــدَّهْرَ بَــينَ اللَّهْــوِ واَللَّعِــب

هتَكْــتَ سِــتْرَ مَــرِينَ طاَلَمــاَ سُــتِرُوا ** قَتَلْــتَ مــاَلِكَهُمْ غَــدْراً بِــلاَ سَــبَب

تَعَمُّــــداً جُــــرْءَةً أَخْلَيــــتَ داَرَهُــــم ** وَلَـمْ تَـدَعْ لِبَنِـي الأَمْـلاَكِ مِـن عَقَـب[1]

بعث الشّاعر برسالة إلى خصومه مفادها بأنّ دولته عصيّة على كلّ مُعتدٍ يتربّص بها ويُنبّههم إلى الأخطاء التي اقترفوها والتي دفعته لاتّخاذ موقف العداء ضدّهم والعبارة الدّالة على ذلك هي قوله: (جُرْتُمْ عَلَى اللهِ فِي أَحْكاَمِهِ) والملاحظ هنا هو التزامه بالحقّ حتّى في حالة العداء لأنّه قد تأثّر بالحضارة في المغرب الإسلاميّ ثمّ أثّر في أحداثها وفي إثراء ثقافتها وفي التّوثيق لتاريخها.

وشَنّ حرباً نفسيّة على أعدائه وتوعّدهم بالهزيمة فقال:

فَــلاَ يَغُــرّكَ مــاَ قَــدْ كــاَنَ مِــن لَعِــب ** شَــمِّرْ إِزاَرَكَ جــاَءَ الحَــقُّ فاَرْتَقِــب

لَمّــاَ دَعَــوتَ عَلَــى بُعْــدٍ أَجَبْــتُكُم ** وَقَــدْ دَعَونــاَكَ مِــن قُــرْبٍ فَلَــمْ تُجِــب

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 324.

وَقَــدْ نَهَضْــتُ بِعَــونِ اللهِ مُــتَّكِلاً ** عَلَــى الإلَــهِ وَمَــن يَرْجُــوهُ لَــمْ يَخِــب

بِعَسْــكَرٍ لجِــبٍ ضــاَقَ الفَضــاَءُ بِــهِ ** كـاَلبَحْرِ أَعْظَـم بِـهِ مِـن عَسْـكَر لجِـب[1]

تحدّى خصمه وتلاعب بمشاعره حينما وصف محاولاته الفاشلة في إضعاف دولته باللّعب الذي لن يُفيده عندما يحين وقت الجدّ، بل راح يُعاتبه ويُقلّل من شأنه في قوله (لَمّاَ دَعَوتَ عَلَى بُعْدٍ أَجَبْتُكُم ، وَقَدْ دَعَوناَكَ مِن قُرْبٍ فَلَمْ تُجِب) فهو هنا يَشنُّ حربه النفسيّة على عدوّه ثمّ يُنذره ويتوعّده بالقوّة والحزم والكلمات التي وظّفها لهذا الغرض هي:(بِعَسْكَرٍ) و(ضاَقَ الفَضاَءُ بِهِ) و(كاَلبَحْرِ) ويبعث إليه بصورة مهولة عن القوّة الغاشمة التي أعدّها له من أجل ردعه وترويعه، وتتجلّى علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في التزام الشّاعر بعقيدته أثناء قتاله بالسّيف وكتابته بالقلم والدّليل على ذلك قوله: (نَهَضْتُ بِعَونِ اللهِ).

وافتخر بحشده الكبير الذي أعدّه للقاء أعدائه وتوعّدهم بالبأس الشّديد الذي ينتظرهم عند المواجهة فقال:

عَرَمْــرَمٌ زَاخِــرٌ فاَضَــتْ مَواَكِبُــه ** كاَنَّــهُ سُــحُبٌ أَرْبَــتْ عَلَــى سُــحُب

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات ، ص 324

مِــن كُــلِّ لَيــثٍ شُــجاعٍ فــارِسٌ بَطَــل ** حــامِي الــذِّمارَ مِـن الأَعـاجِمِ والَعَـرَب

عَلَــى سَــوابِقِ خَيــل ضــمّر عــرب ** تَزْهَــى بِحِلْيَتِهــاَ كــاَلخرد العَــرب

مِــن أَحْمَــر عَسْــجَدِيّ اللَّــونِ مذهبــه ** واَشْــقَر كَشُــعاَعِ الشَّــمْسِ مُلْتَهِــب[1]

واصل في وصف جيشه القويّ الذي أعدّه لمواجهة أعدائه، فقد تحدّث عن كثرة عدد جنوده ورباطة جأشهم وشدّة بأسهم، وعن قوّة خيولهم وسرعتها، فهو يروم رفع معنويات جيشه بشَحْذِ هِمَمِ الجُنُودِ من وِجهة وإضعاف معنويات جيش الأعداء بإدخال الرّيبة في نفوسهم ودفعهم للتّخاذل والخوف من المواجهة من وِجهة أخرى وتظهر علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في توثيق مراسيم التّحضير للمعارك والتّمهيد لها ماديّاً ومعنويّاً الأمر الذي يُثري ثقافة هذه المنطقة وتاريخها.

وتغنّى بجمال خيوله وقوّتها وسرعتها في وصفٍ بديع فقال:

وَاَدْهَــمٌ مَتْنُــهُ لَيــلٌ وَغُرَّتُــهُ ** صُـبْحٌ فَيـاَ حُسْـنه مِـن مَنظَـرٍ عَجِـب

وَاَشْــهَبٌ كَشِــهاَبٍ إِنْ رَمَيــتَ بِــهِ ** شَـيطاَنَ كُـلِّ عَـدُوٍّ فِـي الـوَغَى تُصِـب

فـاَلحمْرُ مِـن فَلَـق واَلشّـقْرُ مِـن شَـفَق ** واَلـدهْمُ مِـن غَسَـق واَلشّـهْبُ مِـن شُـهُب

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص 324 وص325.

تَشُـــنُّ غارَاتِهـــاَ فِـــي كُـــلِّ منهلـــة ** فَتَنْثَنِـــي بالـــذِي نَهْـــوَاهُ مِـــن أَرب[1]

تابع الشّاعر في وصفه للخيول التي يمتطيها جنوده من حيث جمال لونها وقوّتها وسرعتها، وشبّهها بالشّهب الحارقة لكلّ عدوٍّ، وبالشّفق والغسق، وتبرزُ علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في ذوق الشّاعر الأدبيّ الذي لم يَذُبْ في شخصيته العسكريّة بل استطاع بكلّ براعة المزج بين تلك الرقّة في رؤية الأشياء وتصويرها وبين قوّة الشّخصيّة العسكريّة وصلابة العزيمة على الانتصار في المعارك وهنا تكمن العلاقة بين الأدب والحضارة بعامّة.

واستمرّ في التّباهي على أعدائه بخيوله الفريدة من نوعها فقال:

بِهـــاَ وَطَئْنـــاَ بِـــلاَدَاً لاَ سَـــبِيلَ لَهـــاَ ** وَمـــاَ أَرَدْنـــاَ تَنَاوَلْنـــاَهُ مِـــن كَثَـــب

حَيـــثُ الهَـــوادِجُ والَبُوجـــاَتُ مُشْـــرِقَة ** لاَحَـــتْ بِمَنـــزِلِ راَسِ العَـــينِ كاَلشُّـــهُب

واَفَـــتْ بَنُـــو عـــاَمِر مِـــن كُـــلِّ ناَحِيَـــة ** فِـي خَيلِهـاَ العَـرَبُ أَو فِـي نَجْعِهـاَ الأشـب

جـاَءَتْ إِلــى نَصْـرِ حِـزْبِ اللهِ واَبْتَـدَرَت ** كاَلأُسْــدِ تَبْــدُو عَلَيهــاَ سُــورَةُ الغَضَــب[2]

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات ، ص325.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لقد تغنّى بالخيول التي سهّلت لجيشه بلوغ ميادين المعارك وأسهمت في حسم المعارك لصالحه بفضل جودة سلالتها العربيّة، وتتبلور علاقة التأثّر ثمّ التأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في تعلّق الشّاعر بخيوله وتخصيصه لحيّزٍ وافرٍ لوصفها في شعره ليكون قد برهن على تحلّي الشّاعر الجزائريّ بالذّوق الحضاريّ الذي جادت به قريحته بفضل رصيده الثّقافيّ مِن وِجهة وملكته الإبداعيّة بعامّة والشِّعريّة بخاصة مِن وِجهة أخرى.

ووصف حشوده العسكريّة التي جمعها على أرض المعركة لترهيب عدوّه فقال:

وَمَـــن إِمـــاَمٍ عُبَيـــدُ اللهِ فِـــي أُمَـــم ** فَاَضَـــتْ مَواَكِبُهـــاَ بِالبيـــد والشـــعب

كَتاَئِـــبٌ ضـــاَقَتِ الأَرْض الفَضـــاَء بِهـــاَ ** فِـــي ظِـــلِّ أَلْوِيَـــةٍ خَفاَقَـــةِ العـــذب

بَحْـــرٌ عَلَـــى البَـــرِّ مُـــرْتَجٌّ غَواَرِبـــه ** مِـــن فَوقِـــهِ قطـــع الراَيـــاَتُ كاَلسُّـــحُب

وَنَحْـــنُ نَقْـــدُمُهُمْ واَلنَّصْـــرُ يَقْـــدُمُناَ ** واَلأَرْضُ تَهْتَـــزُّ بِالفُرْســـاَنْ واَلنُّجُـــب[1]

تحدّث عن أرض المعركة التي حشد فيها جيشه العَرَمْرَم حتّى اكتظّت بكتائبه وألويته التي يُشبّهها بأمواج البحر، وبكلّ ثقة تقدّم مع جيشه نحو النّصر المُؤكّد الذي دلّ عليه اهتزاز الأرض بسبب الزّخم الذي أحدث

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، وص325.

الفرسان لكثرة عددهم، وقد أبدع في رسم مشاهد المعركة بنظرة الخبير العسكريّ وبملكة الكاتب البارع، وتتّجلّى علاقة التأثّر ثمّ التأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ في شخصيّة الشّاعر التي برزت في أبياته التي جسّدت هذه العلاقة من حيث التّكامل بين القائد العسكري والشّاعر المُتمكّن.

وتحدّث عن معاركه الواحدة تلو الأخرى فقال:

ثُـمَّ ارْتَحَلْنـاَ لِتاَمسـلمت مَرْحَلَـة ** وَكَوكَـبُ الفَـتْحِ قَـدْ وافَـى وَلَـمْ يَغِـب

إلَـى ثَنْيَـةِ بلـزوز فَحِـينَ أَتَـت ** لِلْمُسْـتَرَاحِ أَرَحْنَاهـاَ مِـنَ التَّعَـب

ثُـمَّ ارْتَحَلْنـاَ عَلَـى اسْـمِ اللهِ تَقَـدمنا ** طَلاَئِـعُ الفَـتْحِ فِـي أَبْرادِهـاَ القشـب

حَتَّـى نَزَلْنـاَ عَلَـى دبـدو وَسـاَحَته ** جاَلَـتْ عَساَكِرُناَ فِـي السَّـهْلِ واَلـهِضَـب[1]

افتتح الشّاعر صفحة معركة جديدة عقد العزم على خوضها وكلّه ثقة في الله بتأييده بالنّصر المؤزّر، وقد سبقته طلائع جيشه التي مهّدت له الطّريق إلى ميدان المعركة التي عاينوا سهولها وهضابها من أجل الاستفادة منها في كَرِّهم وفَرِّهم، وهنا تتكشّف علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الشِّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ حيث أبان الشّاعر عن التّنظيم المحكم لجيشه الذي يُمثّل

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ص325.

مظهراً من مظاهرة الحضارة مِن وجهة وبرهن على دقّته في توثيق الأحداث التّاريخيّة التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة مِن وِجهة أخرى.

وقد تطرّق لهزيمة أعدائه الذين فرّوا من أرض المعركة فقال:

لَمّـــاَ بَـــداَ لِلْعِـــدَى أَلاَّ نَجــاَةَ لَهُـــم ** وَلاَ قَــرارَ وَقَــدْ أشــفوا عَلَــى الشــجب

تَضَـــرَّعُوا واَتَـــواْ طَوعـــاً لِخِـــدْمَتِناَ ** بِالـذُلِّ واَلـذُّعْرِ خَـوفَ الهَلَـكِ واَلعَطَـب

وَقَـــدْ عَفَونـــاَ واَنَّ العَفْـــوَ شِـــيمَتُناَ ** وَمَـــن تَـرَدَّى رِداَءَ العَفْــوِ لَــمْ يَخِــب

وَنـــاَلَ مِـــن عَفْوِنـــاَ مـــاَ كــاَنَ ياَمَلُـــهُ ** حَمُّـو بْـنُ زَيـداَنَ بَعْـدَ القَهْـرِ واَلغَلَـب[1]

وصف أطوار معركته التي حَمِيَ وَطِيسُها وخاض مع جيشه غمارها فما كان لهم إلاّ النّصر على أعدائهم الذين جاؤوهم طوعاً وهُم خاضعين بعدما تأكّدوا من هزيمته لهم، إلاّ أنّه عاملهم بالتي هي أحسن وعفا عنهم، ويبدو أنّ علاقة التأثّر والتأثير بين الشّعر الجزائريّ القديم والحضارة في المغرب الإسلاميّ تُستتشفّ من قِيمة العفو الحضاريّة التي تحلّى بها السّلطان الزّياني وهو قائد عسكريّ وبثّها في ذهن المتلقّي بفضل إبداعه وهو شاعر ليُثبت بأنّ الشّعر الجزائريّ القديم هو أدب حضارة.

---

[1] أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيّات، ص 325 وص326.

لقد اتّضح من خلال ما ذُكِرَ من نماذج في هذا الفصل أنّ الشّعر الجزائريّ القديم هو أدب حضارة يحمل بذورها ويُؤسّس لها ويتأثّر بها ويؤثّر فيها وهذا يتجلّى في ثنايا هذا الشِّعر الذي تأثّر بالحضارة في المغرب الإسلاميّ ثمّ أثَّر فيها بإثرائه لثقافة الجزائر وتوثيقه لتاريخها في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ.

خاتمة

بعد الانتهاء من معالجة ما تسنّى لي معالجته في هذا البحث؛ توصّلت إلى النّتائج الآتية:

- إنّ علاقة التأثّر ثمّ التّأثير بين الأدب والحضارة تكمنُ في التّكامل بينهما؛ فالأدب الحضاريّ يُمهّد للحضارة ويرافقها خلال أطوار نموّها حتّى طور ذروتها والحضارة تجعل الأديب رقيقاً في ألفاظه راقياً في أخلاقه مُبدعاً في أدَبِه ومُلتزماً فيه بالحقّ والجمال.

- لقد تنوّعت أغراض الشِّعر الجزائريّ في الفترة الممتدّة مِن القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ والتي تبيّن بعد دراستها أنّ الشّعراء الجزائريّين كانوا مبدعين في نصوصهم، ومُرهفي المشاعر في التّعبير عمّا يُخالِج أنفسهم مع صِدْقِ عواطفهم.

- تَميّز أعلام الشِّعر الجزائريّ القديم بقوّة المَلكة الشّعرية لديهم والتي ساعدتهم على مُسايرة قضايا عَصْرِهم المختلفة بل وتوثيق صورها وأخبارها، فَهُم بِحقّ قد خدموا الجزائر بجهودهم الشِّعرية من حيث إثراء ثقافتها وكتابة تاريخها الحضاريّ من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ.

– لقد أثبت الشّعراء الجزائريّون بأنّ الشّعر الجزائريّ القديم هو أدب حضارة يحمل بذورها ويُؤسّس لها ويتأثّر بها ويؤثّر فيها وهذا يتجلّى في ثنايا هذا الشّعر الذي تأثّر بالحضارة في المغرب الإسلاميّ ثمّ أثّر فيها بإثراء ثقافتها والتّوثيق لتاريخ الجزائر في الفترة الممتدّة من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ.

وتظلّ هناك نتائج أخرى أترك استكشافها للمتلقّي الذي قد يُضيف إليها ما فاتني نسياناً أو جهلاً؛ بيد أنّ ما لا أغفله هو أنّ ثمّة تساؤلات بدت لي وأنا أنفض يَدِي من إنهاء هذا البحث؛ والتي يُمكن أن تعالج في موضوع مستقلّ مستقبلاً أو ضمن مشاريع بحث جماعيّة؛ مثل:

البعد الحضاريّ في شِعر المعارك لأبي حمّو موسى الثّاني – دراسة مقارنة في ضوء الفكر العسكريّ للفيلسوف الصّيني (سون أتزو) (Sun Tzu).

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر والمراجع:

1. أبو حَمُّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره،عبد الحميد حاجيّات، ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

2. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدّين بن الخطيب، تحقيق محمّد عبد الله عنان، ط1، الشركة المصرية للطباعة والنّشر، القاهرة، 1975، ج03.

3. أدباء وشعراء من تلمسان، بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر،2011،ج3،ج4.

4. أزهار الرّياض، أحمد بن محمّد المقريّ،ج2، مطبعة فضالة – المحمدية – د.ت.

5. أصداء الدين في الشعر المصري الحديث، سعد الدين محمد الجيزاوي، ج1، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مطبعة الرسالة ، ط1، مصر،(د ت).

6. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1 ، 1995م.

7. الأعلام، خير الدّين الزّركلي، دمشق، ط3.

8. الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، نايف معروف، دار النفائس، (د ت).

9. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام: محمد الرابع الحسني الندوي، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1985م.

10. التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسِ ية الهجرية الثانية، محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 2009م.
11. التصوف، ماسينون ومصطفى عبد الرازق، كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط 1، 1984.
12. التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق، زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا، بيروت، ج 2/1، (د ت).
13. التصوف في الإسلام منابعه و أطواره، محمد الصادق إبراهيم عرجون، دار وحي القلم، بيروت، مكتبة وحي القلم دمشق، ط1، 2004 م.
14. التصوف في الإسلام، عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت،(د ت)، (د ط).
15. الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954، عثمان سعدي،ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
16. الخطاب الأدبي القديم في الجزائر دراسة بيليوغرافيا، مختار حبار، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر –جامعة وهران، (د ط)، 2007م.
17. الخطاب الصوفي وآليات التأويل قراءة في الشعر المغاربي المعاصر – دراسة، عبد الحميد هيمة، المؤسسة الوظنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية الجزائر، (د ط)، 2008م.
18. الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983م.
19. الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج: محمد بن عمرو الطمار،(د.ط)، سلسلة الدراسات الكبرى،الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع،الجزائر،1983م.
20. الشعر الصوفي، عدنان حسين العوادي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (د.ط)، 1986.

21. العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، عمار هلال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
22. الملامح العامّة لنظرية الأدب الإسلامي، شلتاغ عبود،ط1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مطبعة الصباح، دمشق، 1992م.
23. الموجز في تاريخ الجزائر: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009م،ج1.
24. الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي اللبناني، بيروت، مج 1، ط 1، 1986.
25. باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2011م،(دط)، ج1.
26. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، مراجعة الشيخ ابن أبي شنب، المطبعة الثّعالبية،الجزائر، 1908.
27. بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون، تحقيق بوزيان الدراجي، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2007، ج2.
28. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي،ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبان، 1425 هـ/2005 م،(د ط).
29. تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمّار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،2006م.
30. تاريخ الأدب العربي الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه، أعلامه وفنونه، غازي طليمات وعرفان الأشقر.
31. تاريخ الأدب العربي عصر الدّول والإمارات، شوقي ضيف، دار المعارف للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1995م.

32. تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت (لبنان)، 1988م، ط1.
33. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، بيروت، 1963م، ج2.
34. تاريخ الدّولة الزّيانية، الأحوال الاقتصادية والثّقافية، مختار حساني،(د.ط)، منشورات الحضارة، بئر توتة،الجزائر،2009م،ج2.
35. تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985م.
36. تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي، ج2.
37. تقويم نظرية الحداثة وموقف الاسلام منها، عدنان علي رضا النحوي، ط2، دار النحوي للنّشر والتّوزيع ، الرّياض، 1993م .
38. تلمسان عبر العصور، محمد بن عمرو الطمار،(د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
39. تلمسان في العهد الزّياني، عبد العزيز فيلالي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2002م، ج1،ج2.
40. الثّقافات والحضارات اختلاف النّشأة والمفهوم، محمد الجوهري حمد الجوهري، الدّار المصرية اللّبنانية، القاهرة، ط1، 2009م.
41. الخطاب الشّعري عند فقهاء المغرب، محمّد مرتاض، ط1، دار الأوطان للطباعة والنّشر، الجزائر، 2009، ج1،ج2 .
42. دراسات في الأدب المغربي القديم، عبد الله حمادي، ط1، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة- الجزائر،1986.
43. دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيّام الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن خليل إبراهيم،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر (د ط)،1971.

44. شعر التصوف في الأندلس، سالم عبد الرزاق سليمان المصري، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط) 2007م.
45. الشّعر الجزائري القديم ـ من القرن 3 هـ إلى مطلع العصر الحديث، محمّد مرتاض، ط1، وزارة الثّقافة، الجزائر، 2014.
46. الشّعر الوجداني في المغرب العربي من القرن الثّاني الهجريّ إلى نهاية القرن الخامس الهجريّ قراءة جماليّة وفنيّة، محمّد مرتاض، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015.
47. شعر عمر بن الفارض – دراسة في الشعر الصوفي، عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1982م.
48. العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، 2001، ج1،ج2.
49. الغصون اليانعة في شعراء المئة السّابعة، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف،مصر،ط2، د.ت.

50. في الأدب والحضارة، محمّد الحسناوي، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمّار عمّان، 1975.
51. في التراث والشعر واللغة، شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، (د ط) .
52. في الشّعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1987.
53. في النّقد الأدبي الجزائري القديم، محمّد طول، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران،2000.

54. القاموس المحيط، مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1979م، مادة ثقف، ج03.
55. قاموس مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر»: سمير سعيد حجازي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
56. قصيدة بانت سعاد ومعارضتها، محمد بوذينة، سلسلة من غرر الشعر، منشورات محمد بودينة ،الحمامات،(د ط)،(د ت) .
57. القضايا الكبرى، مالك بن نبي، ط1، دار الفكر، دمشق،1991.
58. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: عبد الرحمن بن خلدون،ج7، بيروت، 1959.
59. لسان العرب، ابن منظور، ط3، دار المعارف، ج1، القاهرة.
60. مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م.
61. مشكلة الثّقافة، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصّبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 1984م.
62. مصطلحات الحرب وأدواتها عند العرب من خلال الشّعر القديم، محمّد مهداوي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون/ الجزائر،2017.
63. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، ط2، مؤسّسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت- لبنان، 1980.
64. معجم أعلام شعراء المدح النّبوي، محمد أحمد درنيقة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 2003م.
65. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، مارس 2007.
66. مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، آمنة تشيكو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م.

67. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط07، دار نهضة مصر للنشر، الجيزة، مصر، مارس2014، ج3.
68. من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنيّة، محمّد مرتاض، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، 2004.
69. موسوعة المغرب العربي، عبد الفتاح مقلد الغنيمي،ط1، مكتبة مدبولي القاهرة،1994 م، مج03.
70. نُظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الدراجي بوزيان، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
71. نفح الطيب، أحمد المقري، تحقيق:إحسان عبّاس، ج3، دار صادر، بيروت،1963.
72. نيل الابتهاج بتطريز الديباج،أحمد بابا التنبكتي، ط2، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000.
73. هذي هي الثّقافة، أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للنّشر، الجزائر، ط1، 1995م.
74. واسطة السلوك في سياسة الملوك؛ لموسى بن يوسف بن عبد الرحمن الزياني أبو حمو الثاني (ت: 791هـ/1388م) نسخة مطبوعة بمطبعة الدولة التونسية بتونس، 1279 هـ 1862 /م.
75. الوساطة بين المتنبّي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 2006.

ثانيا: الكتب المترجمة إلى اللّغة العربيّة:

76. فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر(Albert Schweitzer)، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مطبعة مصر، القاهرة، مارس سنة 1963.

77. قصّة الحضارة، وِل ديورَانت، ترجمة زكي نجيب محمود، ج1، من المجلد 1، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط1، 1992.

ثالثا: الدوريات:

78. مجلة الأثر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، العدد05، 2006.

79. مجلة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنّقدية وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان، العددان الثّامن والتّاسع، 2014م.

80. مجلّة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبية والنّقدية وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان، العددان السّادس والسّابع، 2011م.

81. مجلّة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان، العدد الأوّل، 2002م.

82. مجلّة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان، العدد الثّاني، 2004م.

83. مجلّة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان، العدد الثّالث، 2005م.

84. مجلّة الفضاء المغاربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة وأعلامها في المغرب العربي، جامعة تلمسان، العدد الرّابع، 2007م.

رابعا: الأطاريح الجامعيّة:

85. أثر القرآن في الشّعر الجزائري ما بين ق 7ه وق 12ه، عبد الصمد عزوزي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2009، إشراف أ.د محمّد زمري.

86. الأدب الجزائري القديم من مطلع ق 2ه إلى نهاية ق 5ه، أمينة بن عدّيس، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب المغربي القديم، كليّة الآداب العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2014، إشراف أ.د محمّد مرتاض.

87. الأندلسيّون وتأثيراتهم الحضاريّة في المغرب الأوسط من ق 07ه إلى ق 09ه ومن ق 13م إلى ق 15م، محمّد سعداني، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، كليّة العلوم الإنسانيّة والعلوم الإسلاميّة، جامعة أحمد بن بلّة وهران، 2015، إشراف أ.د محمّد بن معمر.

88. البنى الأسلوبيّة في مولديات أبي حمّو موسى الثّاني، خداوي أسماء، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري في ضوء المناهج النّقديّة الأدبيّة المعاصرة، كليّة الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلّة وهران، 2015، إشراف أ.د حسن بن مالك.

89. بنية الخطاب في شعر أبي حمّو الزّياني، آمنة نوريّ رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الغربي القديم، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009، إشراف د. السعيد لراوي.

90. شعر المولديات في العهد الزّياني، أحمد موساوي، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب المغرب القديم، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعيّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2003، إشراف أ.د محمّد مرتاض.

91. فنّ التّوشيح في الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، مختاريّة طاهر، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري، كليّة الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلّة وهران،2016، إشراف أ.د مختار حبّار.

خامسا: المواقع الإلكترونية:

92. من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة:حسن الأمراني، مجلة حراء، العدد 45، نوفمبر- ديسمبر 2014، الموقع الإلكتروني: www.hiramagazine.com

فهرس

الموضوعات

الملخّص:

يتناول هذا البحث " الشّعر الجزائري القديم وأثره على الجوانب الحضاريّة في المغرب الإسلاميّ من القرن الثّامن الهجريّ إلى القرن العاشر الهجريّ " في ضوء مقاربة تاريخية وصفيّة تحليلية تهدف إلى دراسة النّصوص الشّعرية الجزائرية القديمة من وِجهة، ومعرفة مدى تأثُّر الشّعراء الجزائريّين بحضارة المغرب الإسلاميّ وتأْثِيرهم في ثقافتها بفضل إبداعهم الأدبيّ من وِجهة أخرى.

الكلمات المفاتيح: الشّعر الجزائريّ، القديم، الجوانب الحضاريّة، القرن الثّامن، الأثر، المغرب الإسلامي.

Résumé:

Cette recherche traite le thème de :« L'ancienne poésie algérienne et son impact sur les aspects civilisationnels du Maghreb islamique du 8ème au 10ème siècle AH».à la lumière d'une approche historique, descriptive et analytique vise à étudier les anciens textes poétiques algériens et l' influence de la civilisation sur les poètes algériens et leur impact sur la culture du Maghreb islamique grâce à leur créativité littéraire.

Mots clés: poésie algérienne, ancien, aspects civilisationnels, huitième siècle, impact, Maghreb islamique.

Summary:

This research deals with the theme of: « The ancient Algerian poetry and its impact on the civilizational aspects of the Islamic Maghreb from the 8th to the 10th century AH». In the light of a historical, descriptive and analytical approach aims to study the ancient poetic texts Algerians and the influence of civilization on Algerian poets and their impact on the culture of the Islamic Maghreb through their literary creativity.

Keywords: Algerian poetry, ancient, civilizational aspects, eighth century, impact, Islamic Maghreb.